دكتور
مصطفى نغلوش
كلية أصول الدين
القاهرة

الأُسطورة
في
الفلسفة الإغريقيّة



للطباعة والنشر والتوزيع
١٦ شارع منصور (مولد النبى) الزقازيق
ص . ب : ٢٠٣ ت : ٣٢٠٦٨٣(٠٥٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

(مقدمة)

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فإننى إذ أقدم بحثى هذا عن (**الأسطورة فى الفلسفة الإغريقية**) فى: دراسة علمية تحليلية تكشف عن : علاقة : الفكر الاغريقى بالأسطورة منذ بكوره . وحتى ازدهاره فى ساحة فكر (الشوامخ) من فلاسفة الإغريق .

وقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يستخرج هذا البحث . ويوجه (النية) إليه ويحفز العزم على عقده .. بأمر فى غاية (الطرافة) ..

إذ لم تكن (الفكرة) واردة على خاطرى للبحث .. بل لم تكن من هاتيك الخواطر التى تعن للباحثين فى (صفوهم)..

بل حقيقة : لم اكن أتصور أن الموضوع بهذا الاتساع والذيوع والسريان ..

ففى مستهل (ربيع) العام الماضى [١]. كنت أناقش أحد طلاب الماجستير بكلية أصول الدين بالقاهرة . جامعة الأزهر

وأثناء المناقشة وجهت نظر (الطالب) إلى (جملة) وردت فى رسالته فى سياق (التخلص) من فكرة إلى فكرة . وتشى هذه الجملة : كما صاغها بأنه يضع : فلاسفة الإغريق فى مرتبة رفيعة متسامية على الفكر الأسطورى .

وقارن الطالب بين الفكر الإغريقى والفكر الشرقى . الذى وصفه بالأساطير ..

إذ بعد أن تعرض الطالب لفكرته عند (الهنود) قال: (فإذا تركنا هذا العصر . عصر الأساطير . وانتقلنا إلى : العصر اليونانى ..)[٢].

قلت للطالب : إنك بالغت فى المقارنة بين الإغريق والشرق .

---

(١) راجع ص ١٤ من بحث (مفهوم القلق بين الصوفية والوجودية) رسالة ماجستير مخطوطة بمكتبة كلية أصول الدين / القاهرة .

(٢) عام ١٩٨٩م .

فما هو دليلك على أن (اليونان) لم يعرفوا الأساطير .. أو على أن العصور اليونانية لم تعرف الأساطير .. ؟ ..

وذكرت للطالب : أن (الإغريق) فى عصرهم الزاهى قد عرفوا الأسطورة وتأثروا بها ..؟..

وكاد الأمر أن ينتهى إلى هذا .. ولكن الأستاذ المشرف على الرسالة . تدخل فى (الحوار) .. ليؤكد لى : أن اليونان (عقل وفلسفة) تعالت على الأساطير ..

وبصدق : لقد استنفزنى هذا (الاعجاب) الشديد لفلاسفة الإغريق .. والاستعلاء بهم عن معرفة (الأساطير) ..

وقد عقبت قائلا : لقد ألهمتنى الآن ببحث جديد يصدر فى رحاب كلية أصول الدين . يكشف عن (وجود) الجانب الأسطورى فى الفلسفة الاغريقية ..

ومنذ هذا التاريخ . وأنا أعيش هذا الموضوع .. محاولاً الإجابة بموضوعية عن تساؤلات تقول :-

هل عرف الإغريق (الأسطورة) .. أم لم يعرفوها ..؟..

وهل تأثر الفكر الإغريقى بالأسطورة .. أم أستعصى عليها ...؟...

وهل سيطرت الأسطورة على الفلسفة . أم كانت الفلسفة للفلسفة ..؟..

وهل خضع (شوامخ) الفلسفة الإغريقية للأسطورة . وإلى أى مدى ..؟..

وكيف دار (الصراع) القوى بين الأسطورة والعقل للتسرب إلى (جزئيات) الأصول الفلسفية .

وأخيراً : هل كان (الصراع) يتسم بالمقاومة والرفض ..

أم يتخذ : جوانب أخرى ..؟..

وكنت أرقب فى (حيرة) لمن ستكون الغلبة ..؟..

أللعقل ومنطقه .. أم للأسطورة وباطلها ..؟..

وأقرر هنا : أن الحرب كانت (سجالاً) بين العقل والأسطورة فى الفكر الإغريقى.. وتساوى فى ذلك : كل عصورة التاريخية .

فهو : أرسطورى قبل عصر التفلسف ..

وأرسطورى فى عصر التفلسف

وأسطورى بعد عصر التفلسف المزدهر .

وكانت (الأسطورة) الإغريقية تختلف فى مخالطتها لفلسفة الفلاسفة ..

فهى عند فيلسوف سافرة مكشوفة ..

وعند فيلسوف آخر : ساترة ملفوفة ..

وعند الثالث : تتبرقع بما يشف ..

ولكن (الأسطورة)فى كل الأحوال (موجودة) فى الفكر الإغريقى بقوة ومتغلغلة فى نسيج الفلسفة .

بل : وقد حاولت (الفلسفة الإغريقية) أن تجعل للأسطورة (منهجاً) تبقى به على الأسطورة ..فى تصوير (فلسفى) إغريقى يموه بالباطل

وقد وقفت بين هذه الطرق المتشعبة . أوثق مصادرها ..وأناقش مذاهبها .. وأبرز الجوانب الأسطورية من مظانها .

مؤكداً : أن « العقل » هو (العقل) .. وأن التعصب لجنس أو لون .. أمر ضد طبائع الأمـور .

وخلصت من هذا كله إلى : « أن الفكر الإنسانى الإغريقى به الكثير من الفلسفة التى تروق .. كما أن به : الكثير من الأساطير ولا يمكن لأسطورة أن تروق ..

وحاولت أن أوضح (مناهج) وأضع (قواعد) لحركة الأسطورة فى الفكر الإغريقى .

وانتهيت إلى أن : الأسطورة تسرى فى الفكر الإغريقى سريان الماء فى العود الأخضر .

وأنها يمكن أن تسرى وتخالط كل فكر إنسانى : يبتعد عن منهج (الله) تعالى الذى أنزله على الأنبياء بطريق (الوحى) ..

وكنت طوال رحلتى مع (الأسطورة) لا أفتر عن ذكر الله تعالى . والاستغفار من (عرض) أساطير الضلال .

التى تتحدث عن (آلهة) متعددة . وعندما (توحد) يكون توحدها (بشرى) الصفات .شهوى الذات . والعياذ بالله ..

ولذا : كنت أهبتل كل فرصة : فأبـادر إلى تقرير بطلان الأساطير .. توبة .. وأوبة ..

وعسى أن تكون هذه الدراسة قد أوفت بغايتها ووفت بمنهجها .. وكشف عن (الفكرة) أو جلتها ..

وأبتهل إلى الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل نافعاً وشافعاً يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وأضرع إليه سبحانه : أن يزجيه كجبال الماء إلى العقول .. وأن يسريه كخيوط الفجر إلى القلوب .

وعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده .

﴿ ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير .﴾

هذا . وبالله التوفيق .

دكتور

مصطفى غلوش

كلية أصول الدين - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

الأسطورة

معنى الأسطورة :

يجدر بنا أن نقف على معنى (الأسطورة) لنتمكن من تحديد المراد منها : حتى نتمكن من إدراك (الحكم) على الفكر الإغريقى .

لأهل العلم فى معنى الأسطورة نظرة تختلف باختلاف موقعها من(بنيان) المذهب . أو (المأثور) .

وهذا ماذهب إليه (المعجم الفلسفى) حيث يذكر أن : [الأسطورة Myth] عبارة عن :

١- قصة خرافية يسودها الخيال . وتبرز قوى الطبيعة فى صور كائنات حية ذات شخصية ممتازة . وينبنى عليها : الأدب الشعبى .

٢- تستخدم - الأسطورة - فى عرض مذهب . أو فكرة . عرضاً قصصياً . مثل : (أسطورة الكهف عند أفلاطون) .. [١]

والأساطير وجدت مع الإنسان منذ فجر تدوين التاريخ بل وقبل تدوين التاريخ.

وينبغى علينا منذ مداخلتنا لعرض فكرة (الأسطورة عند الإغريق) أن نكون على ثقة تامة من حقيقة نعتقدها وهى :

أن الإنسان منذ أن خلقه الله تعالى . وهو برئ من الأساطير والخرافات .. فقد أشرقت الدنيا على آدم عليه السلام وهو (نبى) كريم نهل العلم من الله تعالى . يقول القرآن الكريم ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها . ﴾

ثم نقل آدم عليه السلام علمه و(نبوته) إلى : ماتناسل منه من البشر .

---

(١) راجع (المعجم الفلسفى) نشر مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنه ١٩٨٣ مادة (٧٨).

فالإنسان الأول وفروعه الأولى .. كان رائدها نور (النبوة) . والعلم الآلهى فى جوانب الحياة والاعتقاد ..

فلما (غاب) الإنسان عن (النبوة) واجتالته الشياطين على منهج (الوحى) .. تباعد النور الآلهى .. وطمس القلب الإنسانى بظلمات الهجر لمنهج الله تعالى ..

وهنا تنهض الأسطورة والخرافة ، وكل ما هو باطل .. ليملأ فراغ الصدر من الإنسان .

وتلك (غاية) إبليس عليه لعنة الله .. وتلك « غوايته » التى حرص على أن يضل بها الإنسان .. عندما أقسم لرب العزة على ذلك . يقول القرآن الكريم : ﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين ﴾

وهنا : نهضت الأسطورة والخرافة ، لتملأ بالباطل (قلب) المدْبر عن (وحى الله) تعالى .. ولتحل محل (العلم) الذى وهبه الله تعالى للإنسان .

وكان (نبأ ابنى آدم) .. بداية للسطور الأولى التى كتبها الإنسان لتاريخه مبتعداً بها عن منهج الله تعالى ..

وتوالت السطور والصفحات فى التاريخ الباطل .. وكلما اشتد إيغالاً فى الظلام .. إشتد (التيه) به والحيرة . ووقف على مفارق طرق متعددة لايدرك من تأثير الباطل الذى يروده : أين صوابها .. ؟...

ومن هنا : كانت الأسطورة والخرافة : أقدم مصدر لجميع المعارف الإنسانية .

ونعنى بذلك : هذا النوع الإنسانى إذ بعد ما تنكب طريق الوحى إعترضته (الأسطورة) . التى ترتبط دائماً ببداية الإنسان أو ببدائية البشر .. قبل أن يمارس (السحر) كمصدر من مصادر (المعرفة) الإنسانية .

فالأسطورة بذلك : حالة فكرية تتقدم كل أنواع المعارف الإنسانية .. ويعتبر (السحر) نوعاً راقياً عنها ..

والأسطورة أمدت الدراسات الإنسانية التى اعتمدت على الإنسان فى ذاته بالكثير من المعارف . ولعلها دونت بعد ذيوعها مما جعلها تدخل اللغة وفيها معنى التدوين

والأسطورة فى اللغة هى : (السطر الخط والكتابة والجمع أسطار . وجمع الجمع (أساطير) . والأساطير . الأباطيل . الواحد أسطورة بالضم وإسطارة بالكسر .[1]

والأسطورة تأتى بمعنى (الخرافة) : [والأسطورة الخرافة . والحكاية ليس لها أصل . جمعها : أساطير . وسطّر الكتاب : سَطَره . أى : ألفه .. ويقال : سطّر الأكاذيب . وسطّر علينا : قصّ علينا الأساطير . والأساطير الأباطيل والأحاديث العجيبة . وفى التنزيل :(إنْ هذا إلا أساطير الأولين) [2].

وذكر صاحب (مقاييس اللغة) فى معنى (الأسطورة) قريبا من هذا .

ويقول : [فأما الاساطير . فكأنها أشياء كتبت من الباطل . فصار ذلك : إسما لها . مخصوصاً بها .

يقال : سطر فلان علينا تسطيراً . إذا جاء بالأباطيل . وواحد الأساطير : إسطار وأسطورة .][3] .

وإذا كنا نسوّى بين : الأسطورة والخرافة من منطلق أن كليهما باطل .. فإن (الجوهرى) وغيره قد ذكروا أن [الاساطير هى : الأباطيل والترهات .] .[4].

كمـا نجد من الباحثين من يحاول أن يفرق بينهما بلامنهج يستند إليه . فيقول : [كثير من الدارسين يجعلون الحكاية الخرافية : لوناً من ألوان الاساطير . بخاصة إذا اعتبرت عملية إخراج موضوعى لنزعات خفية ..

وكثير آخرون يردونها إلى (الطوطمية) أو الروحانية أو السحر أو النبوءة التى اشتهرت بها الشعوب فى مراحلها الأولى .[5].

---

(١) راجع مادة (سطر) من كتاب (مختار الصحاح) الطبعة السابعة سنه١٩٥٣ .

(٢) راجع مادة (سطر) فى كتاب (المعجم الوسيط) نشر مجمع اللغة العربية .

(٣) راجع مادة (سطر) من كتاب (مقاييس اللغة) لابن فارس .

(٤) راجع ص ٢٤. من كتاب (تفسير القرطبى) نشر دار الريان للتراث .

(٥) يفرق هذا الباحث بين النبوءة والأسطورة باعتبار : المجال .. فيقول:(إن النبوءة تختص بحدث يومى من أحداث الحياة) ولكن (الأسطورة تختص بالظواهر الكونية وما وراءها) ونحن إذ لانوافق على هذا التخصيص .. نؤكد أنه يقصد : بالنبوءة ما يصدر عن البشر والكهان من (تنبؤ) باطل ..

وعن بعض المشتغلين بالميثولوجيا - الأسطورة الدينية - توضع الحكاية الخرافية فى صف .. مع مايسمى بأسطورة : الأخيار والأشرار [1].

وقد درست (الأسطورة) دراسة (أنثروبولوجية) من جهة أن (الانثربولوجيا) هى: علم دراسة الإنسان طبيعياً واجتماعياً وحضارياً .

وقد ظهرت هذه الدراسات كعلم مستقل بمعرفة (إدوارد تيلور) الأستاذ بجامعة أكسفورد سنه ١٨٨٤ م.

وقد أكد (تيلور) على أن : الأنثربولوجيا هى أقدم علوم البشر . وأن أقدم هذه العلوم هى تأملات الإنسان فى كل زمان ومكان .. وهذه التأملات تحمل أحلامه وأمانيه . وقد تجسدت قديماً فى (الأسطورة)..

وقد ساهمت(الأسطورة) فى إمداد الدراسات الإنسانية على اختلاف فروعها بالكثير من الظواهر والعناصر والمواد الفنية ..

وقد ظهر ذلك فى الجانب (الفكرى) للإنسان .. فقد قامت (الأسطورة) بدور فعال فى تشكيل الفكر الإنسانى والتأثير فيه ..

وقد تحقق للأساطير على مدى التاريخ أن تتسلل فى هدوء وقوة إلى (التفكير) الإنسانى ..

بل استطاعت (الأسطورة) أن تكون (أداة) الإنسان الذى حاول أن يفسر الكون بها تفسيراً علمياً .. وأن يقدم لقضاياه ومشكلاته حلولاً تجيب عقله الدارج ..

وبهذا : استطاعت الأسطورة أن (تتربع) على ناصية العقل الإغريقى منذ طفولته .. وحتى خريف عمره ..

ولعل هذا ما جعل بعض الباحثين يؤكد على أن (الأسطورة) قد صارت لدى علماء (الأنثربولوجيا) : نوعاً من (الفلسفة) .

فيقول : [الأسطورة على هذا النحو : ضرب من الفلسفة لأنها عملية تأمل من أجـل إجـابة عن أسئلة مبعثها الاهتمام الروحى بموضوع (ما) . فتكون بطريقة أو بأخرى . أشبه بالنبوءة . التى ظهرت فى تراث الإغريق .

---

(١) راجع ص ٦١ من كتاب (الأساطير) د/ أحمد كمال زكى نشر مكتبة الشباب سنه ١٩٧٥.

فثمة قضية (مصير) تشغل أى إنسان . فيذهب إلى معبد (دلفى) Delphi .
كما ذهب (أوديب) يستنبئ عن مستقبله . وهناك - كما يعتقد الإغريق - تكون الإجابة . ولا يجدى شىء من تغيير المصير .. لأنه قدر ... أو :(لأن الآلهة أمرت بذلك) ..[1]

ولعل فكرة (النبوءة) هنا توضح لنا كيف تغلغلت الأسطورة عند الإغريق حتى أصبحت (ديناً) .

وهى فكرة تخالف تماماً ماعند المسلمين من مفهوم كلمة (نبوة) و(نبوءة) .

فإن (النبوءة) عند الإغريق قوامها الأسطورة الخرافية وأقيمت على فكرة (الرجم بالغيب) .

والذى يعنينا هنا أن (النبوءة) هذه : أسطورة ذاعت عند الإغريق حتى صارت (ظاهرة دينية) انتشرت بين أهالى اليونان ..

ونترك لأحد الباحثين يبين لنا معنى (النبوءة وأثرها) عند الإغريق .

يذكر لنا صاحب كتاب (المأساة اليونانية) أن (النبوءة) شكلت جانب الحياة الإغريقية فكان لها أثر خطير فى حياتهم : العقائدية والفلسفية والحياتية .

فقد كان الإغريقى يعتقد اعتقاداً راسخاً فى (النبوءة) وكان يعتبرها جزءاً هاماً من دينه الوثنى .

ومن هنا : أولاها الإغريقيون كل رعاية .. فسهروا على رعايتها والحفاظ على أسطوريتها وألفاظها .. وقد تضلع بكتم أسرارها (طبقة الكهان) فى عقيدة (الإغريق) الوثنية .

وقد كانت (النبوءات) تتخذ من الشعر والنثر طريقاً للإعلان عن نفسها .. لكنها اتسمت بسمة محددة وهى : أن أسطورة (النبوءة) كانت دائماً تساق بألفاظ مبهمة . أو بعبارات تحتمل أكثر من معنى . أو بجمل حمّالة أوجه .

---

(١) راجع ص ٤٥ من كتاب (الأساطير).

وقد غطت (النبوءات) كل مناحى الحياة الإغريقية .. فقد حفل التاريخ الإغريقى بأساطير (النبوءات) التى تتصل بنتائج الحروب . و(النبوءات) التى تتصل بمصير الأفراد فى (الغد المغيّب) من أفراح وأتراح . و(نبوءات) تكشف للإغريق عن (دفائن) الماضى .

وعموماً : فإن تاريخ الأساطير عند الإغريق يذكر أن من أشهر (النبوءات) التى عرفها اليونان (نبوءة أبو اللون) فى {دلفى} و « نبوءة زيوس» فى «رودونا»

وقد مهدت : أساطير (النبوءات) إلى : انتشار (العرافة) فى بلاد الإغريق . حتى وجدنا أن اكبر فلاسفتهم (الإغريق) كان يستشير (العرافين) .

ولم تكن (العرافة) نوعاً مباشراً من (التنجيم) يعلن صاحبه «المنجم» أنه من (ذاته).

ولكن (العرافة) عند الإغريق : كانت نوعاً من «الدين» . نهج منهج (التنجيم) فى ملاحظة : الظواهر الجوية والأبراج السماوية وعالم الحيوان . وعالم الطير خاصة (الأفاعى) مع نسبة هذه الجزئيات إلى (الزمان) المخصوص ..

وصارت بذلك (العرافة) مصدراً للمعرفة الإغريقية تؤثر فى حياته ودينه وفلسفته .

واكتسب « العراف » بالنسبة للإغريق فى القرن الخامس قبل الميلاد . والأحقاب التى تلته نوعاً هاماً من التقدير الثقافى والروحى لما يتملكه من نواحى(الأسطورة) .

حتى صار [واحة للإغريقى فى صحروات المكائد والمصائب] التى تنصبها له (آلهته) الوثنية كما تحدثه أساطيره الدينية .. (١)

---

(١) راجع ص ٣٦ ومابعدها بتصرف من كتاب (المأساة اليونانية فى القرن الخامس قبل الميلاد) د/ محمد خفاجة ود / عبد المعطى شعراوى نشر هيئة الكتاب سنه ١٩٨٦ م

العقل العربى والأسطورة :

ليس من قبيل (الاستطراد) أن ألفت النظر هنا إلى أن : العرب قد عرفوا الأسطورة ومعناها فى طور باكر من أطوار حياتهم .. ولكن سرعان ما سيطر عليهم العقل رغم (الوثنية) التى كانوا يعتقدوها .. فقد كانوا بعيدين عن الأسطورة عندما (عللوا) سبب عبادتهم للأوثان .. إذ أضافوه إلى ضعف إنسانى غريزى وهو (الإلف) .. حيث قالوا :[إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون .]

وكانت دعوى (الإلف) (هروبا) من (الاعتماد على الأسطورة) فى تزيين الباطل كما نلاحظ عند (الإغريق) .

ولعله مما يؤيدنا فى ذلك : أن العقل العربى الذى هيأه الله تعالى لاستقبال الوحى . أدرك درجة (الأسطورة) من اليقين فصنفها بنفسه فى عداد (الباطل) الصريح ..

وقد صار هذا (التصنيف) العربى للأسطورة : فى ثقافة العربى الخاصة والعامة .. وصار لديه معلوماً : أن الأسطورة هى (الباطل)، وتواتر هذا المعنى لوضوحه لدرجة أنه لم يكن يحتاج عندهم لاقامة الدليل . أو التعريف بالأساطير لشهرة علمهم بها .

وقد تبدى هذا جلياً فى خصومة أهل مكة المكرمة للقرآن الكريم فعندما نزل الوحى على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .. قوبل بخصومة قوية من مشركى العرب .. وهوجم القرآن الكريم بطرق متعددة ..

وكان من أبرز ما رمى به القرآن الكريم (زوراً وبهتاناً) أنه (أسطورة) وأساطير .. وقد حكى القرآن الكريم عنهم مقالتهم .فقال تعالى ..**﴿ إن هذا الا أساطير الأولين .﴾** (1).وقال : **﴿ وقالوا أساطير الأولين أكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا﴾**(2). وقال : **﴿ قال أساطير الأولين .﴾** (3). وقال : ﴿ ما هذا إلا أساطير الأولين ﴾ (4).

---

(١) سورة الأنعام /٢٥ . وسورة النمل/٦٨ . وسورة الأنفال ٣١.

(٢) سورة النحل /٦٤ . وسورة الفرقان /٥ .

(٣) سورة القلم /١٥. سورة المطففين /١٣

(٤) سورة الاحقاف /١٧

أنواع الأسطورة

قسم علماء (الأنثربولوجيا) الأسطورة وأثرها فى الحياة الإغريقية بصفة خاصة.. وحياة بقية الشعـوب التى تـأثرت بالأسطورة بصفة خاصة إلى ثلاثة أنواع :-

النوع الأول (الأسطورة الطقوسية) :-

و: الأسطورة الطقوسية (Ritual Myth)

يقصدون بها : (الأساطير الطقوسية) والخاصة بطقوس العبادة .على أى شكل أو طريقة كانت هذه الطقوس .

وقد ظهر هذا النوع من الأساطير المطقوسية فى جميع الأزمنة والأمكنة التى عاش فيهـا الإنسـان سـواء أكان (وثنى) العقيـدة . أو (مبدّل) الوحى . أو (محرفٌ) الكتاب .

وتقدم الأسطورة الطقوسية للإغريقى طقسه كاملاً سواء كان (عملاً) أو (قولاً)

وتهتم (الأسطورة الطقوسية) فى مجال : (الطقس القولى). بإضفاء جوّ من الخفاء والغموض المثير على أساطير الأقوال الطقوسية . فتسحر بذلك (خيال) الإغريق .

وقد انعكس هذا (السحر) الأسطورى على كثير من أعمال الإغريق الأدبية من: شعر وقصص ومسرحيات ..

لأنه غالباً ماتكون هذه (الأسطورة) حكاية أو (قصة) موشّاة . بأقوال وأشعار ومغاليق غامضة .. لا يقبلها سوى : الخيال والعاطفة المشبوبة .

النوع الثانى : الأسطورة التعليلية :

ويقصد بها علماء (الأنثربولوجيا) : الأساطير التى سيقت فى مقام إبراز (علة) العلاقات بين الأشياء ..

فالأسطورة من هذا النوع لها دور (وظيفى) فى تفسير وتعليل الظواهر .. تعليلاً : يناسب طبيعة الأسطورة ..

طريقها إلى الظهور إلا بعد أن نشأت فى المحيط الإغريقى فكرة :

وجود كائنات روحية خفية فى مقابل ماهو كائن من الظواهر الطبيعية . كالرعد وانفجار البركان. وانشقاق الارض عن الزرع .

وقد أضيفت إلى هذا النوع من الأساطير . أسطورة أخرى كاذبة .

فقد استطاع طائفة من رجال الدين تسلق (الأسطورة) فأوهموا البشر . بأن (الكهنة) على اتصال بهذه الكائنات الخفية .. وأنهم يكلمونها ويخاطبونها ..

وأنهم يستطيعون أن يسخروها لخدمة من يشاء فهي طوع إرادتهم .

وبذلك ربط (الكهنة) قوتهم بقوة تلك القوى الخفية برباط أسطورى مؤسس على الاعتقاد الدينى .

وبرز (السحر) كعامل مؤثر فى الحياة الإغريقية . متصلاً بالدين .

وقد استغل فى هذا الميدان (الكهنة) خصائص بعض الأحجار النفيسة وتميزها ببريق معيّن أو صفاء ملفت . أو رونق جميل .

فأدعوا بروح (الأساطير) المتسلطة على العقول الإغريقية أن (روحاً) خفية تكمن فيها .. ويمكن استمالتها عن طريق (القرابين) والأضاحى .. وتقديسها بوضعها فى (تعاليق) على مواضع (الصدارة) فى صدر الإنسان أو على جبهته.. إلى غير ذلك من الأمور الخرافية التى مازالت بعض بقاياها الأسطورية سائدة حتى عصرنا الحديث .

وقد مكنت (الأسطورة التعليلية) رجال الدين الوثنى (الكهنة) من السيطرة على عقول الإغريق بالأسطورة .

إذ أزالوا من طريقهم كل سيطرة عقائدية تصدر من غيرهم فظهر ذلك عند الإغريقى أنه نوع من (التحرر)من ربقة المفاهيم الغامضة إلى نوع من (المعارف) تصدر عن إنسان مباشر ..

فكانت فرحة الإغريقى بالأسطورة المباشرة طاغية. وحجبته عن أن يفكر فى المقارنة بين أسطورة بلا تعليل . وبين أسطورة معللة

إذ لو أنه تمهل وفكر .. لرأى أن الأسطورة فى الأولى أرحم بإنسانيته من الثانيه .. فالأولى : أسطورة فحسب .. اما الثانية : فهى أسطورة مع طاغوت البشر من (الكاهن) الأسطورى .. فهى أسطورة مركبة ...

وقد اتهم (الكهان) السحرة الذين من خارج طبقتهم وألبوا عليهم العامة وطاردوهم فى جوّ أسطورى .

وقد شجع العصر الأسطورى على قيام الكهنة أنفسهم بأعمال (السحر) وقدموه فى «أطر» من الأسرار التى حجبوها عن الناس . وخصوا أنفسهم بالشفاعة للبشر أمام الآلهة . والقدرة على (التكهن) والكهانة .

ويعتقد كثير من الباحثين أن (الأسطورة التعليلية) هى التى مهدت الطريق لفلاسفة الإغريق إلى خوض بحار (الفلسفة).

فنجد من يقول : [إن التعليل للأسطورة . كان بداية العلم قبل الفلسفة .. وشارك السحر فى المهمة قبل أن يرتبط بالدين بحيث كانت الشعائر الدينية والسحرية تمارس فى وقت واحد .. وتردد الصلوات - الوثنية - والتعازيم - السحرية - من نفس الصوت المترنم. دون أن يبدو أى : تناقض - عند الأسطوريين - فى هذا السلوك العجيب لأحد .

ولكنها : المعرفة الأولى .. وما اكثر ما تتداخل العناصر المتناقضة فى تكوين هذه المعرفة][1] .

النوع الثالث : الأسطورة الرمزية :

ويقصد بهذا النوع من الأساطير . الذى يعبرّ بطريقة مجازية عن فكرة دينية أو كونية طبيعية ..

وهذا النوع من الأساطير يكثر فيه الغموض والخفاء فيبدو (معقد) التركيب والفهم .

ولذلك : وصفت الأسطورة الرمزية . بأنها : أكثر تعقيداً من الأساطير الطقوسية والتعليلية ..

وعلينا أن نبحث نحن عن : المعنى الرمزى فى الأساطير الإغريقية وقد وضع (الرمز) فى أسطورة (المارد) Titah وهو فى الأسطورة الإغريقية (إبن أورانوس وجيا) أى (السماء والأرض)

---

(١) راجع ص ٤٩ من كتاب (الأساطير) .

وقد اعتاد (الماد) كما تقول الأسطورة أن يأكل أبناءه . لأنه (أنبئ) بأن أحد أبنائه سيكون أقوى منه ..

وبحيلة ما . أنقذ منه إبنه (زيوس) الذى صار كبير آلهة الأولمب . وقد أصبح (كروانوس) رمزاً (للزمن) الذى لا يفنى . ويفنى كل شىء ..

النوع الرابع : الأسطورة التاريخية (Legend. Myth)

ويقصد بهذا النوع من الأساطير : الأسطورة التى امتزجت بالتاريخ .. فهى : تاريخ وخرافة .

ويشترط لهذا النوع من الخرافة أن يكون (بطل الأسطورة) قد كان فى مرحلة من مراحل الأسطورة من رجال الدين (الكهنة) سواء كان بدرجة (قديس) أو (راعى).

ورغم أننا لم نجد من الباحثين من - يجزم بالعلاقة بين : الأسطورة والتاريخ فى هذا النوع الأسطورى .

على معنى : هل تحول التاريخ إلى أسطورة ..؟..

أم تحولت الأسطورة إلى تاريخ ..؟..

أم أن هناك مزيجاً من الأسطورة والتاريخ . خلطا على يد الكهنة فصارا شيئا واحداً . يصعب التفرقة بينهما .. ؟..

وهذه الأسطورة : تتضمن عناصر تاريخية وعناصر من البطولات الخارقة . تأخذ إطار الحكاية .

والحكاية التى ترويها : الأسطورة التاريخية : تتعلق دوماً بمكان واقعى حقيقى . أو بأشخاص حقيقيين . وتنصب الأسطورة فقط على (الحدث) المروىَّ ..

وتنقل الأسطورة التاريخية بطريق المشافهة من جيل إلى جيل .

وقد أخطأ من صور نقل الأساطير عير الأجيال والعصور على أنه (التواتر).

فإنه لو أدرك حقيقة (التواتر) .. لما أقحمه أبداً فى ميدان الأسطورة أو التعريف بها ..

نعم : نستطيع أن نقول إن الآراء تواترت على أن الأسطورة : قامت على الباطل والخرافة ..

ومن هنا : يجب أن نفرق فى الأسطورة التاريخية بين :

أ- أبطال دخلوا الأسطورة التاريخية كرمز لقوى الفكر والروح مثل : أوديب وسيزيف وأوليس . ولم نجد لهم مكاناً فى التاريخ بمعناه المعاصر .

ب- وبين أبطال دخلوا التاريخ . مثل : أندرياس . وهانيبال . واختلطت أعمالهم بأساطير أخرى لأبطال خرافيين ..

الأساطير باعتبار القصة :

تختلف الأسطورة بعضها عن بعض باعتبار ما تحكيه من قصص .. على النحو التالى :

١- قصص الشعائر والطقوس . مثل : قصة برسيفون وديميتير عند الإغريق. وهى مدونة على جدران المعابد الوثنية الإغريقية ودروع الحرب .

٢- قصص التاريخ الأسطورى . وهى التى تمزج الحقائق الخارقة بالأعاجيب . لتخرج منها قصة (شعبية) تتناقلها الأجيال ويتلاشى فيها (الواقع) بالتدريج .

٣- قصص رمزية .. وهى التى تساق فى نطاق القوى الخفية . أو : إجراء (الحوار) على ماليس متوقعاً منه (الحوار) كالطير والحيوان والجماد .

وقد أخطأ من مثل لنوع (القوى الخفية الرمزية) . بعالم (الجن) .. فإن الجن ليس عالماً رمزياً . وإنما هو حقيقة واقعة لدى عقيدة المسلمين .[1]

٤- قصص الآلهة .وهى التى تساق لوصف الآلهة الإغريقية . ولا تتضمن عناصر تاريخية . ولا تعرض للنظام الاجتماعى الإغريقى .. أو العقيدة أوالطقوس أو السحر الإغريقى ..

وإنما تهتم . بالحديث عن (جيا) آلهة الأرض و (أفروديت) و(فينوس) آلهة الخصب والجمال عند الإغريق .

٥- القصص الخرافى: وهى التى تساق لتتحدث عن (الخرافة) فى مجال (الطبيعة).. وكيف (تخرق) قوانين الطبيعة ونواحيها الثابتة .

---

(١) راجع ص ٥٣ من كتاب (الأساطير) .

مثلما : ترى فى أسطورة (إيخو ويزكيسوس) (Narcissus Echo) تلك الفاتنة التى أصابها (البكم).والجميل الذى عشق صورته .

وهذا النمط من القصص لوحظ أنه يكون عند الإغريق : المضمون الوحيد لأقدم صور المعارف الإنسانية المعتمدة على الأساطير .

وقد راج بغاية : خلق نوع من التوازن مع الواقع بحيث يصير اللا معقول معقولاً .[1].

ويحق لنا أن ندهش من تصور أن (قصة خرافية) تحول اللامعقول (معقولاً) .. فهذا تحل لا يقل عن (الأساطير) فى تنصله من قوانين العقل والفكر الإنسانى الصحيح .

معنى الأسطورة عند المحدثين :

يرى المحدثون أن معنى الأسطورة فى طورها الأول هو :
الكلام المنطوق .. ثم (قصة تختص بالإله وأفعاله)

وقد قرب هذا المعنى من المعنى الذى وضعته (المعاجم) العربية لمعنى الأسطورة.

كما يقترب هذا من أصل كلمة (الأسطورة) عند الإغريق .. فالأسطورة فى اللغة الإغريقية هى (Mytho.) وهى نفسها (Myth.) ..

ولكن (لويس سبنس) يقرر فى كتابه (من الحقيقة ؟ إلى : الأسطورة الدينية): أن الأسطورة ليست تفسيرا تمليه الفائدة العلمية بقدر ما هى : استجابة لنزعات دينية وارتباطات اجتماعية .

وعليه : فيمكننا التوسع فى تعريف معنى (الأسطورة) عند علماء (الانثربولرجيا) . ثم يقول :

إن الأسطورة التى وصفت الطقوس . وكانت القول الفصل فى الشعائر الدينية بحيث كانت الأسطورة (تمارس) حقيقة فى (المعابد) ديناً .. صارت (قصة للآلهة) بعد أن أصبح (الكون) بكل مافيه محل تساؤل عام من الجماعات .

---

(١) راجع ص٥٤ من المرجع السابق

الأسطورة والفلسفة

وعندما صارت (الأسطورة) هى التى تتضلع بالإجابة عن التساؤل الإنسانى الذى صار محلاً للكون . بدخولها نطاق (الأسطورة الدينية) ..

أصبحت عملية موضوعية لنوازع عميقة ودقيقة عند الإغريقى الذى يجد فى (الأسطورة) ملاذه ومصدر معارفه ..

وصارت (الفلسفة الإغريقية) فيما بعد تجد فى رموز الأسطورة : تفسيراً تنشىء عليه : قاعدة فلسفية صارت هى : البناء الفلسفى عند الإغريق ..

وقد انتشرت (الأسطورة) فى التراث الإغريقى بصورة لم تؤلف من قبل عند الشعوب الأخرى .. رغم تسليمنا بأن كل الشعوب شرقيها وغربيها عرفت الأسطورة

ولكن الفرق : أن الشرق عرف الأسطورة وجاءته رسالات السماء .. وخاتمتها (رسالة الإسلام) تطهره من الأساطير ..

أما الإغريق .. فقد لَوّن بالأساطير فلسفته .. ولما (تمسّح) احتفظ بالكثير من هذه الأساطير عقيدة له ..

ثم بعث الغرب : التراث الإغريقى من فن وأدب وشعر وفلسفة وعقيدة .. ليصور به فى استعلاء تقدم الفكر والفلسفة الإغريقيَة على : الشرق ..

وليته ما فعل .. فقد فتح على نفسه : تاريخاً يخبر بوضوح بما كان عليه أجداد صناع الحضارة المعاصرة ..

فإن الناظر لرأى أحد المعجبين بما تركه الإغريق من تراث فإنه يجد أنه [تراث ضخم خالد خلفه الإغريق به أدب وفن وعلم وفكر . والأسطورة كان لها أهمية خاصة بين ثنايا ذلك التراث الضخم الرائـع ..

والدارس : أىّ دارس - لا يكاد يلتقى بجزء من ذلك التراث . إلا ووجد نفسه وجهاً لوجه مع الأساطير الاغريقية . فالأساطير الإغريقية عديدة . وتفاصيلها متعددة . ومضامينها مختلفة .

ومن أجل فهم التراث الإغريقى أو دراسته أو حتى تذوقه . يجب الإلمام بالأساطير] [1].

---

(١) راجع ص ٥ من كتاب (أساطير إغريقية) د / عبد المعطى شعراوى نشر هيئة الكتاب سنه ١٩٨٢ م .

الفصل الثانى

تأثير الأسطورة فى الفكر الإغريقي

التراث الإغريقى :-

إذا أردنا أن أن نقف على (تأثير) الأسطورة فى الفكر الإغريقى . فإننا لابد أن نلقى نظرة عامة على بعض التراث الإغريقى متخذين أشهر الأسماء والألقاب . وسيلة لهذه النظرة ..

فمصادرنا عن هذه النظرة التأثرية هى (التراث) الإغريقي منذ بكوره سواء كان قبل الفلسفة أو بعدها أو معها ..

أول ما وصلنا من تراث الإغريق (الإلياذة) و (الأوذيسة) وهما (ملحمتان) شعريتان ينسبان لشاعر إغريقى يدعى (هوميروس) ..

وسواء أكانتا من عمل (هوميروس) . أو أضيف إليهما فيما بعد من (منحول) الشعر الإغريقي .. ؟...

فإن الأمر بالنسبة لما نحن بصدده سيان .. لأننا نرقب الأسطورة الإغريقية وعلاقتها بتفكير الإغريق الباكر .. أنى وجد العقل الإغريقى

وعليه : فإن قريحة (هوميروس) الإغريقي .. تستوى لدينا في ميدان الأسطورة فهى هنا مثل (قرائح) غيره من الإغريق .. الذين دوّنوا أو أخترعوا الأسطورة معبرة عن معانٍ عقائدية أو فكرية أو اجتماعية .

فإن الموثوق به حقاً : أن هوميروس قد وضع اسمه علي (مدوّنات) اعتبرت من (التراث الإغريقى) فنظرنا هنا إليها بالذات لا «بالنسبة» .

وقد ظهرت (الإلياذة) و (الأوذيسة) فى القرن العاشر قبل الميلاد .

والذى يهمنا هنا : أن نشير إلى أن بداية التفكير اليونانى كان أسطورياً .. بل إن (الإغريق) قد بهرتهم الأسطورة عند (هوميروس) دون آن تصادم فيهم عقلاً أو منطقاً ولقد اعتقد الكثير من الإغريق أن الاساطير عند (هوميروس) قدمت الكثير من (الحلول) لمشكلات إغريقية . تختص بالآلهة .

ولسنا بصدد تقدير (الالياذة والأوذيسة) من الناحية الأدبية والجمالية وإنما الذى يعنينا هنـا .

[أن الإلـيـاذة والأوديسا .... مليئتا بالأساطيـر الإغـريقية فهـما كنز لا يفني (!) .. ومعبد لا ينضب .. نهل منه الشعراء والكتاب الإغريق فيما بعد.

وربما يقصد المؤرخ الإغريقي هيرورتوس - هيرودت - حين يقول : إن هوميروس وهيسيو دوس . [1] هما اللذان أثبتا لليونانيين أنساب الآلهة . وأطلقا عليها ألقاباً وفصّلا عباداتها واختصاصاتها . وبيّنا أشكالها ..

فلقد أصبحت (الإلياذة والأوديسا . فيما بعد دستوراً للإغريق . وهادياً لهم . ومركز للمعلومات التى يحتاجون إليها فى مجالات علاقاتهم بالآلهة .

فالآلهة والبشر يختلطون اختلاطاً تاماً ويشكلون عالماً واحداً فى : الإلياذة والأوديسا][2]

وتعتبر (الإلياذة والأوذيسة) : أقدم ما وصلنا من شواهد الفكر اليونانى .. وأهم ما يلفت النظر فيهما من هذه الناحية : تصوير الآلهة والمبادىء الأخلاقية .

فالآلهة في قمة (الأولب) يؤلفون (حكومة ملكية) على رأسها (زيوس) . وكلهم في صورة بشرية يحيون حياة البشر . فيأكلون ويشربون ويتزاوجون . لهم مثل ما لهؤلاء من عصبيات وشهوات ونقائص .

ولا يميزهم منهم - الآله من البشر - إلا أنهم أذكى عقلاً وأقوى جسماً . وأن سائلا (عجيباً) يجرى فى عروقهم فيكفل لهم الخلود (!) .

ويسيطر آلهة الأولب على شئون البشر . ولكنهم لا يلتزمون بالعدل (!) . فيضربون بذلك أسوأ الأمثلة فى الأخلاق ..

وفى القرن الثامن - قبل الميلاد - نجد ديوانين ينسبان لهزيود .

فأما أحدهما واسمه (الأعمال والأيام) فعبارة عن قصص وأمثال تحث على الخلق

وأما الديوان الآخر واسمه (أصل الألهة) فيعدّ أول محاولة فى العلم الطبيعى

---

(١) هوميروس صاحب (الإلياذة) أما (هيسيودوس) فهو المعروف باسم (هزيود) صاحب ديوان الاعمال والايام .

(٢) راجع ص ١٢ من كتاب (أساطير إغريقية) د / عبد المعطى شعراوى.

لأن الشاعر قد ألف فيه مجموعة مرتبة من (الأساطير) والمعارف القديمة . فنراه يرتقى إلى : البدء ويسلسل الأشياء والآلهة فى ترتيب يدل على أنه أراد أن يتدرج من الفوضى إلى النظام ..

على أنه هزيود - يروى عن الألهة من النقائص والمخازى مالا يفترق عما صادفناه فى الإلياذة .

فهو إذن : لم يتحرر من الخيال الشعبى - الأسطورة - تمام التحرر .[1]

ونستطيع أن نلتقط ما يهمنا هنا فى الآتى :

١- الإلياذة والأوديسة أول ما وصلنا من (التفكير الإغريقى) . وكلهما بنيت على(الأسطورة) .

٢- وصلنا عن (هزيود) الإغريقى : ديوان (الأعمال والأيام) وديوان (أنساب الآلهة).. وكلها بنيت على الأسطورة .

٣- إتفاق (الباحثين) على أن هذه البواكير الإغريقية ملئت بالأساطير الإغريقية .

٤- شهادة (هيرودت) المؤرخ اليونانى الذى زار مصر سنه ٤٥٠ ق.م علي (هوميروس) و (هزيود) . بأنهما بالأساطير التى وردت فى التراث المنسوب إليهما. قد اختلتا للإغريق (دينا) أسس على الأسطورة .

وإن هذان الرجلان الإغريقيان . هما اللذان أقاما للإغريق (العبادة) ومزجوها بالأساطير .

٥- إعجاب الإغريق بتراث هوميروس وهزيود المليء بالاساطير ..انعكس على (الفكر الإغريقى) . فاعتبروه دستوراً إغريقياً يصهر تفكيرهم وحياتهم العقائدية.

٦- تأثر الكتاب والشعراء والفلاسفة بالأساطير التى جاءت عند (هوميروس وهزيود) ورئى ذلك فى مناحى متعددة فى الفكر الإغريقى .

٨- تعدّد الآلهة . أسطورة عقائدية فاسدة كانت هى (عقيدة الإغريقى) .

٩- أسطورة (الدماء) العجيبة الذى تجرى فى عروق الآلهة البشرية . تلقاها الفكر الإغريقى واستغلها (الغرب) فى عصور كثيرة وعرفت باسم (الدماء الزرقاء).

---

(١) راجع ص ١ من كتاب (دروس فى تاريخ الفلسفة) د / إبراهيم مدكور

١٠- إن الانطلاق إلى الفهم والعلم الطبيعى فى بكور الفكر الإغريقى . اعتمد على (الأسطورة) مثلما فعل (هزيود) فى (أصل الآلهة).

وصف تراث هوميروس :

تعتبر (الإلياذة والأوذيسة) قمه الأعمال الأسطورية فى إطار أدبى .

وتتكون (الإلياذة) من (٥٥٣٧) خمسة آلاف وخمسمائة وسبعة وثلاثون بيتاً من الشعر الإغريقى . موزعة على (٢٤) أربعة وعشرين نشيداً .

وكلها فى وصف الأيام الأخيرة من (حرب طروادة).

أما (الأوذيسا) فتكون من (إثنى عشر بيتاً) قسمها النقاد إلى(٢٤) أربعة وعشرين نشيداً .

وهى تحكى أسطورة (تليماخوس) بعد أن ضل أبوه (أوديسيوس) فى البحر وهو عائد من (طروادة) عقب إنهائها ..

ثم تحكى : مغامـرات (إديسيوس) وانتقامه من أعدائه وفيها (الدعاء) لربات الشعر الإغريقية . وحشد هائل بأسماء الأبطال والآلهة ..

وأشهر أبطال (التراث الإغريقى) الأسطورى أخيلوس . وأديسيوس . وأجاممنون . وهكتور وباريس .

وأشهر الآلهة الأسطورية فيه : زيوس . وأبوللو . وهرميس وديونيسوس . وإيروس . وهاديس .

وأشهر الآلهـة الأسطـورية النسوية : (هيرا) زوجــة زيــوس كبير الآلهة . و (ديمتير) إلأهة الزراعة والحبوب الخرافية . و (أفروديت) إلأهة الجمال .

وترد فى الأساطير الإغريقية عند هوميروس أسماء كثيرة أسطورية . مثل : أوديب وسيزيف . وبيجماليون . وهيرو . وأنتيوس .

ويعتبر المؤرخون (أن موت هوميروس أنهى عصر الملاحم والخرافات .)[1]
ولكننا لا نوافقه على ذلك بدليل :

----

(١) راجع ص ٢٠٤ من كتاب (الاساطير) .

١- مجئ (هزيود) بعد (هوميروس) بقرنين من الزمان (القرن الثامن قبل الميلادى)[١] .

٢- تأثر (المفكرين) والفلاسفة الإغريق بهذا التراث الإغريقى .. وكما لمح دائماً فى طيات الفلسفات والمذاهب الإغريقية وعند كبار الإغريق بل وفى أهم المدارس الفلسفية .

وعموماً : فإن (زيوس) عند (هوميروس) هو السلطان الذى يحكم مجتمع (الآلهة) الأسطورى .

وقد صور هوميروس (الآلهة) فى صور بشرية . ولكن الأساطير التى خلعها على (الآله البشر) . أضفت عليه قدراً هائلا من القداسة فى مجتمع يؤمن بالخرافة ويشكل فكره الأسطورة

فقد كادت أن (تطمس) الصورة البشرية من جراء الأساطير الناعمة القوية ..

وبالرغم من ذلك فقد اعترض بالنقد بعض النقاد الإغريق على طريقة كل من (هوميروس وهزيود) فى حديثهما عن الآلهة .

يقول كسينو فانيس :

[إن البشر العاقلين ينشدون عن الآلهة أشعاراً وقصصاً ذات فأل حسن وكلمات نقية .. ولا يتحدثون عن : النياتن والعمالقة والقناطير التى هى من نسج خيال القدماء ..

ولقد نسب هوميروس وهزيود إلى : الآلهة كل مايجلب العار على البشر : [السرقة والفحشاء والخداع] .. [٢]

ومهما يكن من محاولته لستر ذيوع (الأسطورة) فى الفكر الإغريقى فإن الحقيقة : أقوى من حماس من غرق في : « إغريقيته » أو محب لإغريقيته .

فإن تراث (هوميروس) قد صار (السجل الرسمى لعقيدة الإغريق) والمرجع الأساسى لدارس أساطيرهم .

----

(١) راجع ص ١٠ من كتاب (دروس فى تاريخ الفلسفة) د / ابراهيم مدكور .

(٢) راجع هامش ص ١٣ من كتاب (أساطير إغريقية) د / عبد المعطى شعراوى .

وصف تراث هزيود

يتكون ديوان (الأعمال والأيام) لهزيود من أربعة أجزاء :

١- فى الجزء الأول يشير (هزيود) إلى : الصراعات والخصومات بين الآلهة.

ويشرح (هزيود)بأسطورية كيف نشأ الشر بين الناس متخذاً :(أسطورة باندورا) طريقاً لعرض فكرته ..

أسطورة باندورا :

وهى أسطورة طويلة جداً تعبرّ عن الفكر الإغريقى الأسطورى وكيف عاش حياته العقائدية فى (أسطورة) باطلة اتخذها طريق حياة . ومنهج عبادة .

ويهمنا أن (نلخص) هنا (أسطورة باندورا) . لما تحتويه من حديث عن علاقة (الآلهة) الأسطورية ..

وتفسير الفكر الإغريقى لخلق (العالم) ونشأته ..وتوضح الصراعات الأسطورية بين الالهة الأسطورية ..

تقول الأسطورة :

زيوس . رب الأرباب . ملك الملوك . حاكم الأرض والسماء ومابينهما . صانع أقدار الإله والبشر .

وتحكى الأسطورة أن (زيوس) أضطر لخوض (المعارك) ضد أبيه الذى أنجبه ! وأنه حارب المسوخ والتياتن .. وهو في الأسطورة إبن (التيتن) من الحورية (كلومين) . وكان معروفاً بالدهاء والمكر .

وعرف باسم (المتروى) . وقد انشق عن زملائه (التياتن) عندما أحس أن النصر سيكون (لزيوس) . وصار (عقل) زيوس المفكر . وجذب معه أخاه (إيحيثيوس) .

ولما انتصر (زيوس) : اعتلى العرش . وطهر الكون من شرور المسوخ والمردة والتياتن . وحدّد على الأرض : الماء واليابسة .

ونظم حياة (الآلهة) . وأسند لكل إله وظيفة تليق بمكانته (!) وقدرته .

ولم يعد يبقى - كما تقول الأسطورة الباطلة - سوى خلق البشر وبقية المخلوقات الأرضية .

وأناب (زيوس) بعد تفكير طويل : بروميثيوس وأخاه الذى بدأ بخلق (الحيوانات) و(الطيور) ..

ثم جاء دور خلق (الرجل) .. فأعطاه صفات (الآلهة) بعدما وزع الصفات الأخرى من قبل على الحيوان والطير من جمال وقوة ووحشية وصبر وافتراس ..

فقد خلط (بروميثيوس) فى الأسطورة : التراب بالماء وشكل منه (مخلوقاً) يشبه (الإله) وسيرّه على أثنتين ومنحه بشرة ملساء بلا ريش أو فراء . ومنحه القدرة على الكلام .

وعندما همّ (بروميثوس) أن يمنح (الخلود) للرجل تدخل (زيوس) . ومنع ذلك .

وهكذا نجد أن (الأساطير الدينية) عند الإغريق لا تفرق بين الرجل الإغريقى وآلهته .. لهذا السبب الأسطورى .

وإن كـان ثمـة من فرق فى الأسطورة .. فإن الرجل يموت والآلهة الإغريقية يدعون أنها خالدة لا تموت .

وبعد إتمام الخلق للأرض ومن عليها تتتابع الأسطورة فتعرض أن الرجل عاش على الأرض سعيداً . والآلهة فوق (أوليمب) الشاهقة ترقب سعادته .

ولكن المشكلة حدثت من (بروميثوس) . إذ لم يكن يستطيع العيش مع الآلهة فى أولمب . لأنه ليس بإله .. ! ..

ولـم يـكن يستطيع العيش مع البشر . لأنه ليس ببشر . إذا هو : نصف آله ...؟!

وكانت تخشاه الآلهة لمكره .. ويحبه البشر ويعتبرونه المدافع عنهم من الآلهة .

وتمضى (الأسطورة) وتحكى عن (غفلة) كبير الآلهة (زيوس) يوم (الوليمة).. فقد رغب البشر فى إقامة وليمة وتقديم (هدية) للإله (زيوس) تعبيراً عن الإخلاص .. فأحضروا (ثوراً) وهيأوا للوليمة وتحلقوه ضارعين إلى (زيوس) الذى لبى الدعوة .

وعندما جاء دور (الإطعام) اختلف (زيوس) مع البشر) على : تقسيم الذبيحة .

١- البشر يرون أن (الإله) نصيبه منها مثلهم .

٢- وزيوس يرى أن الوليمة له .. فهى كلها له ..

واقترح (بروميثيوس) تقسيم (الذبيحة) مناصفة بين زيوس والبشر . ورضى الطرفان بذلك .

وتولى (بروميثوس) مهمة التنصيف للذبيحة . فقطعها وفصل عظامها عن اللحم . ووضعها على هيئه (كومة) على يمينه .

ثم أتى بالأمعاء وبقية الأجزاء الداخلية الرديئة ولفها فى غفلة من (الإله زيوس) (!) حول اللحم الخالص .

ثم وضع عن يساره : شرائح من اللحم ولفها فى غفلة (زيوس) حول العظام .

ونظر كبير الآلهة إلى (الكومتين) فاختار الكبرى المغشوشة وحملها معه إلى (قمة الأولمب).

وعندئذ اكتشف (زيوس) أنه (خدع) ولكنه لم يجرؤ على ردّها للبشر . وأطل على البشر من عليائه . فوجد البشر يستعدون لإشعال النار لإنضاج الطعام .

واغتاظ (زيوس) ونفرت (عروقه) من شدة الثورة وكشر عن أنياب ناصعة البياض وصرخ قائلا :

لن يهنأ أحد من البشر بذلك اللحم الطرى .. لن تنجحوا فى إشعال النار . وليتناول البشر اللحم (نيئاً) .

وفشل البشر فى إشعال النار . واختفت النار ومعها (الدفء) وتألم (بروميثوس) لعذاب البشر . وكان واسع الحيلة فصعد خلسة إلى السماء . وغافل (زيوس) وسرق (قبساً) من اللهب . وهبط فى خفة إلى الأرض .. وأشعل البشر النار فى سعادة . وأقاموا (المحاريب) لتقديس (زيوس) وتقديم القرابين التى ظلوا يأكلون لحمها الطرى ويزكون العظام لزيوس ..

وقد استولى الغضب على (زيوس) . وأكلت نار(الحقد) قلبه . كلما شاهد (النيران) تتحداه .

ولكنه كما تقول الأسطورة . لم يندفع كعادته (؟!) .. بل فكر فى الانتقام من (بروميثيوس) المخادع ..

واستدعى (زيوس) كما تحكى الأسطورة إبنه (هيفايستوس) الإله القمئ الأعرج الفظ صانع أدوات الحرب المهلكة ..

وحوله إلى (أنثى بشرية) ونادى بقية الآلهة أن تعطيها أعز الصفات التى يقدر عليها كل إله إغريقى ..

فوهبت العينان الجميلتان . وبقية صفات الجمال الأخاذ ومنحه (هرميس) : الكذب اللذيذ والخداع الحلو .

وملأ (زيوس) صندوقاً بالجواهر والهدايا ومنذ تلك اللحظة عرفت هذه المخلوقة باسم (باندورا) . ومعناه (هدية الجميع) أى : إلى جميع رجال الأرض من جميع (الآلهة) .

وعندما علم (بروميثيوس) الذى يعلم كل شئ فى السماء والأرض بأمر (باندورا) . أمر أخاه أن لايخدع بهدايا (باندورا) ..

ولكنه أعجب بجمال (باندورا) فلما قدمت له (الهدية) تذكر تحذير أخيه . واعتذر عنها فى لطف .

وثار (زيوس) واشتد غضبه . وقرر الانتقام من (بروميثيوس) فقبض عليه . وصلبه على صخرة فى منطقة نائية جرداء . وسلط عليه طائر (العقاب) ينتزع كبده فى الصباح .. وعندما ينمو له كبد فى المساء .. يعاود النزع . وهكذا ...

وتألم الأخ لأخيه . فقبل صندوق (الهدية) . وعاشا سوياً. وفارقهما (هرميس) ناصحاً لهم بعدم فتح الصندوق أو معرفة محتوياته .

وعاشت (باندورا) فى مجتمع ليس فيه فساد مع زوجها فى وئام .. ولكنها كانت قلقة على فتح الصندوق .

وتمكن منها (حب الاستطلاع) فقامت لتفتح الصندوق ومنعها زوجها من فتحه وتشاجرا وصفعها على وجهها وصرخت وتجمع البشر . واختلفوا ما بين مؤيد ومعارض ..

وانتشرت (الأوبئة) بعد فتح الصندوق وعلم أن (زيوس) كان قد سجن فى هذا الصندوق جميع الأوبئة والمتاعب .. وبفتحه انطلقت إلى الأرض تؤدى غايتها .

ولكن (زيوس) أرسل مع أوراح الأوبئة . روحاً طيبة هى (روح الأمل) . وقد حبسه (بروميثيوس) عندما أغلق (الصندوق) بسرعة قبل تسرب جميع ما فيه من الأوبئة .

وعاش (الأمل) سجينا .. وتسرب (اليأس) إلي(باندورا) وحاولت الانتحار..

وسارع (بروميثيوس) ففتح الصندوق لروح (الأمل) الذى انطلق بين «البشر» فعادت البسمات . ودبت الحياة فى النفوس . وأصبحوا بالأمل اكثر قدرة على تحمل الحياة . [1]

هذا ملخص سريع لأسطورة (باندورا) . ويظهر فيها مثل بقية الأساطير الإغريقية ما يلى :

١- كيف كانت آلهة الإغريق على هيئة البشر ؟..!..

٢- وكيف تخدع الآلهة ويمكر بها ولا تشعر ..؟ ..!

٣ - وكيف يحقد كبير الآلهة من أجل قطعة (لحم طرىّ)... ؟ .. !

٤- وكيف كان (يحتال) لينشر الفساد على الأرض الطاهرة ..؟..!

وهكذا : نجد (الأساطير) الإغريقية التى تصور الفكر الإغريقى موغلة فى الوثنية والسذاجة الفكرية البدائية التى تدعوا إلى : الرثاء والسخرية ممن يعبد هذه (الآلهة) الأسطورية ويقيم لها (المحاريب) ويقدم لها (القرابين) .

وعوداً نقول : هذا " نموذج " سريع لما يحفل به (التراث الإغريقى) عند هزيود.

ولسنا بصدد عرض كل (الأساطير) هنا . فهذا ليس منهجنا هنا .. بل إن منهجنا أن نشير فى (وجازة) إلى أن الفكر الإغريقى عرف (الأسطورة) .. بل وتأصل على كثير منها فى جميع مراحله .. حتى فى عصور (الشوامخ) من (الفلاسفة)..

٢ - أما الجزء الثانى من ديوان الأعمال والأيام : فيشرح فيه (هزيود) كيف يستطيع الإنسان أن يكون غنياً بالمال . وطريقه (العمل) ..

٣ - وأما الجزء الثالث من ديوان الأعمال والأيام : فيدور حول : السلوك والأعمال العامة والأعمال المنزلية .

---

(١) راجع تفصيل هذه الأسطورة من ص ٨١ إلى ص ٩٧ من ك [أساطير إغريقية]

٤- وأما الجزء الرابع من ديوان هزيود . فيدور حول (تقويم) ملائم للزراعة فى أيام الشهر من كل عام ..

والقصيدة فى مجموعها : (ليست سوى مجموعة متباينة من الأساطير والملاحظات الأخلاقية .)[1].

ديوان أنساب الآلهة :

أما ديوان (أنساب الآلهة) . فهو : عرض مفصل للمراحل التى مرّ بها (العالم) من : آلهة وبشر .

وفيه يتحدث (هزيود) عن (العائلة المقدسة) فى (أولمب) ويتابع السلالات الأسطورية . حتى يصل إلى سلالة (الأبطال) .

وكل الديوان عرض (أسطورى) بلا ترابط . ملئ بالمأساة والكوارث للآلهة وللبشر من الآلهة .

وهكذا نجد : أن (التراث الإغريقى) لهوميروس وهزيود قد صور (الحياة الفكرية) عند الإغريق فى نواحى العقيدة والاجتماع وغيرهما .

وقد أثرت هذه المواريث التراثية الإغريقية لدى اليونان حتى وجدنا لدى الإغريق (مجموعة أخرى من القصائد مجهولة المؤلف والزمان والمكان سار ناظموها على نهج (هوميروس) وحشدوا تلك القصائد بأساطير الآلهة والأبطال .)[2]

أساطير بنداروس :

وقد تماثل (بنداروس) ٥١٨ ق.م /٤٣٨ ق.م وهو أشهر شعراء الإغريق . مع هوميروس وهزيود فى قيامه بالاعتماد على الأساطير فى شعره الغنائى . حتى أنه يعتبر مصدراً هاماً من المصادر التى أثرت فى الفكر الإغريقى وتلوينه بالأسطورة ..

فقد اندفع اندفاعاً نحو (الأسطورة) يستلهمها المعانى . وينسج عليها إعجاباً وغراماً بالأساطير . فملأ كل قصائده بالأساطير .

---

(١) راجع ص ١٦ من كتاب (أساطير إغريقية) .

(٢) راجع ص ١٩ من كتاب (أساطير إغريقية).

وكان يشعر بالسعادة وهو : يتحدث عن أساطير الآلهة وقد مهدّ بشعره الأسطورى الغنائى لنشأة (التراجيديا) - المأساة - الإغريقية الأسطورية على يد : إيسخولوس وسوفوكليس ..

خاصة وقد ارتبطت (التراجيديا) عند الإغريق منذ نشأتها بعبادة الإله الأسطورى (ديونوسوس) .

أساطير أريستوفانيس :

وهو يعتمد على الأسطورة فى فنه (المسرحى) . وقد عاصر (سوفوكليس) والفيلسوف (سقراط) والسوفسطائيين .

ولم تكن الأفكار السائدة فى عصره قادرة أن تبعده كثيرا عن الأساطير . ولذلك فإن أعماله كلها مليئة بالأساطير زاخرة بالاشارات والتلميحات الأسطورية مثل مسرحية (الضفادع) .[١]

أساطير هيرودت :

يعتبر (هيرودت) المؤرخ الإغريقى : مصدراً ثرياً للتراث الإغريقى . فقد أقام في (أثينا) ثم منح حق (المواطنة) [فاكتسب خبره واسعة وعلماً ودراية بالأساطير الإغريقية وبالتاريخ الإغريقى][٢] .

وقد جاء تاريخ (هيرودت) مليئا بالأساطير زاخراً بقصص الآلهة والأبطال .. ويخلط (هيرودت) أثناء (عرضه) بين : العنصر التاريخى . والعنصر الأسطورى .

و(وهكذا : يمتلئ تاريخ هيرودوتوس بالأساطير الإغريقية .. ويجد القارئ نفسه عاجزاً عن التمييز بين التاريخ والأسطورة .

(وكثيرا ما دخلت أساطير كثيرة من أبواب التاريخ ودخلت الأحداث التاريخية من أبواب الأساطير) [٣].

---

(١) راجع ص ٤٧ من كتاب (المأساة اليونانية) د / عبد المعطى شعراوى هيئة الكتاب .
(٢) راجع ص ٧ من كتاب (هيرودت فى مصر) د / وهيب كامل الأنجلو .
(٣) راجع ص ٢٩ من كتاب (أساطير إغريقية).

الفصل الثالث

أثر الأسطورة على الفلسفة الإغريقية

يقسم مؤرخوا الفلسفة العصور الفلسفية عند الإغريق إلى قسمين :-

الأول : العصر الإغريقى : ويطلق عليه بعض الباحثين أسم (العصر الهيلينى).

ويقصد بهذا العصر : الزمن الذى كان فيه التفلسف الإغريقى وقفاً على : العقلية الإغريقية .

وذلك منذ القرن السادس قبل الميلاد إلى القرن الرابع قبل الميلاد .

ويدخل فى هذا العصر المدارس الفلسفية الآتية :

١- المدرسة الطبيعية اليونانية بمراحلها .

٢- المدرسة الايلية بمناهج فلاسفتها المختلفة .

٣- المدرسة الفيثاغورية .

٤- الاتجاه السوفسطائى .

٥- شوامخ فلاسفة الإغريق (سقراط وأفلاطون وأرسطو) .

٦- المشائية الأرسطية .

الثانى : العصر الإغريقى الرومانى :

ويقصد به : الفترة الزمنية التى أعقبت العصر الإغريقى وتفلسف فيه عقلية أخرى (غير) العقلية الإغريقية . فى (التراث) الفلسفى الإغريقى ..

سواء أكانت عقلية : إغريقية أو سورية أو رومانية .. فهو العصر الذى تفلسف فيه (العقل) الإنسانى العام . دون نظر إلى إقليم أو جنس . فى ظل : الإمبراطورية الرومانية ..

ويبدأ هذا العصر الرومانى من .

آخر القرن الرابع قبل الميلاد إلى منتصف القرن السادس الميلادى من الطور الرومانى فى (بيزنطة) و (روما) ..

وإلى منتصف القرن السابع الميلادى فى الطور الشرقى فى (مدرسة الإسكندرية)..

ويوالى امتداده إلى القرن الثامن الميلادى فى رحاب مدارس (الرّها وانطاكية ونصيبين) فى سوريا والعراق .

وينتهى هذا العصر إلى : (عصر الترجمة) والنقل عند المسلمين .

منهج التناول :

وسنقصر حديثنا هنا على (الجانب الإغريقى) دون دخول فى العصر (الرومانى).

وهذا منهج لن يفوت (فائدة) بإذن الله تعالى .. لأن الفلسفة الإغريقية التى سنذكرها هى التى ورثتها (الحقبة الرومانية) .

ومعلوم أن (الرومان) أعجبوا بالفلسفة الإغريقية . فحاكوها وعندئذ نستطيع القول : بأن الرومان حكمتهم الفلسفة الإغريقية.وكان هذا إبان (القوة) الرومانية .

ولما وهن الرومان .. ضعفت بذلك الفلسفة فى العصر الرومانى .. فكثرت فيها (الأساطير) . وسيطرت عليها (الخرافة) وجمد العقل عن التفكير .

ومن هنا : نخلص إلى أن العصر الإغريقى فى الجانب الأسطورى يعتبر معبراً حقيقياً عن الجانب الرومانى .

وإذا كان هناك ثمة فرق : فإن (الرومانى) زاد فى الأساطير عن (الإغريقى) . وللحق نقول : إننا وجدنا فيلسوفاً - حالة خاصة ونادرة - مثل (أبيقور) هو الذى يعتبر (أول من تجرأ على نقد الأسطورة)[١] .

أولاً : طابع الفلسفة فى العصر الإغريقى :

إن الفلسفة الإغريقية لم تكن : ابتكاراً لفلاسفة الإغريق . بل انتزاعاً واختياراً مما كانوا عليه من ثقافة وتفكير سائد فيهم قبل عهدهم بالتفلسف .

وقد هدف الإغريق من (التفلسف) إلى : (التخلص من سلطان طائفة معينة هى : طائفة الكهنة . أو : أرباب المعرفة الدينية - النبوءات - ..

---

(١) راجع ص ١١ من ك (فلاسفة الإغريق) تأليف (ريكس وورنر) .

وإلى : التخلص من (قداسة) تعاليم الكهنة .. وذلك عن طريق وضعها موضع النقد تحت ميزان العقل الإنسانى .

(فما أيده العقل منها عدّ من ضروب الفلسفة . ومالم يرجع لديه بقى فى حيّز الأساطير الدينية)[1].

ولكن هل تم للإغريق تنفيذه هذا المنهج المثالى آنذاك ..؟..

إننا لا نستطيع أن ندعى ذلك .. بل : ولا الإغريق أنفسهم ادعوا ذلك ..
فقد أعرب (النقاد) الإغريق على أسفهم للأساطير التى تسربت إلى الفلسفة الإغريقية .

ونجد : كيف استطاعت (الأسطورة) الإغريقية أن تهاجم فى قوة كل العقول الإغريقية .. سواء أكان ذلك بطريق مباشر أو غير مباشر ..

ونجد الدكتور محمد البهى بعد ذلك يتنصل فى دقة من دعوى الميزان العقلى الحاسم للفكر الإغريقى في ذلك العصر الذى ادعاه من قبل ..

فيستدرك مؤكداً أن (صلة) الفلسفة الإغريقية وثيقة بثقافة الإغريق آنذاك وهى (أسطورية) فى الجانب الفكرى والعقائدى وغيرها ..

فيقول : [فصلة الفلسفة الإغريقية بثقافة الإغريق الدينية وبمعارف الكهنة - الأسطورية - فيهم صلة : وثيقة . وتأثر تلك بهذه - الأسطورة بالنبوءة والنبوءة بالأسطورة - أمر واضح .. على معنى : أن فلسفة الإغريق احتوت على عناصر من ثقافة الشعب الإغريقى - الأسطورة - ولهذه الصلة بين فلسفة الإغريق . وثقافة الشعب الإغريقى الدينية - الأسطورة - (نعثر) فى الفلسفة الإغريقية على عناصر الديانات الشعبية البدائية التى كانت للعقيدة الإغريقية قبل التفلسف . وفى زمنه - فى زمن التفلسف - وعقيدة الإغريق : كانت أدخل فى معنى (البدائية) من أية ديانة (شرقية) . صاحبتها فى ذلك الوقت] [2].

---

(١) راجع ص ٣٢ من كتاب (الجانب الآلهى من التفكير الفلسفي) د / محمد البهى .

نموذج من تأثير الأسطورة على الفلسفة الإغريقية :

علنا نبادر فنقتطف (نموذجاً) يظهر فيه أثر (الأسطورة) على التفكير الإغريقى .

فقد شاعت (الأسطورة) فى بناء الفلسفة الإغريقية .. حتى صيرّها العقل الإغريقى : نوعاً من الفلسفة . وأقام على (الأسطورة) الكثير من الآراء والتعليلات والمذاهب الفلسفية .

ونحن هنا سنتابع (باحثاً) نعتقد أنه أكثر الباحثين وقوفاً على ماعند الإغريق والغرب . وله (بدرات) تشى بإعجابه بالفلسفة الإغريقية عندما يتعرض للمقارنة بين مدارس (المشائية) ..

فنحن نعلم أن (الأساطير) فى العقيدة الإغريقية قامت على فكرة (تعدّد) الآلهة الأسطورية .

وكنا نتوقع عند يقظة (العقل) عند الإغريق وتنشطه للفلسفة أن :

أ- يتوصل العقل الفلسفى إلى أن (الأسطورة) باطل خرافى .. إذ أن تمام العقل فى البراءة من الأسطورة ..

ب- أن يتوصل الفكر الإغريقى إلى (وحدة) فى الألوهية إنطلاقاً : من وحدة (العلة) على الأقل . وهى فكرة فلسفية .

جـ- أن يتوصل العقل الإغريقى إلى أن : الآلهة البشرية المتعددة : أساطير باطله وخرافات .

وهذا كله : كان جديراً أن يحقق للعقل الفلسفى الإغريقى (نقلة) كبرى تليق بقيمة العقل السامية ..

ولكن المؤسف حقاً : أننا وجدنا : الفلسفة الإغريقية فى قمة موضوعاتها . وفى ازدهار عصرها .. تلتصق ببعض العناصر الخاصة بالعقيدة البدائية الشعبية الإغريقية وهى : أساطير خرافية من أعلاها إلى أدناها ..

بل : وتتخذ هذه العناصر (الأسطورية) مذهبا فلسفياً لتفسير الكون : تفسيراً (علّياً) فلسفيا ً..

ويصرح الدكتور محمد البهى الذى ارتضيناه عارضاً :

بأن الفلسفة الإغريقية قد تأثرت بالأساطير الإغريقية التى حفلت بها : الديانة الشعبية الإغريقية ..

وأن الفلسفة تجد فيها ما تجده فى الأساطير الدينية بفارق واحد هو : ظهور الأسطورة فى (أحضان) الفلسفة بطريقة تختلف عن ظهورها فى أحضان : الديانة الشعبية البدائية .

فالأسطورة فى الفلسفة : موشاة بمصطلحات الفلاسفة ومشذبة بمنهجهم . ومصقولة بطرقهم . فهى : خفية مستورة .

أما الأسطورة فى الديانة البدائية .. فهى ساذجة فجة عليها أعشاب البرارى .. وهى : ظاهرة معلنة ..

فيقول فى ذلك : [.. إذا عثرنا على عنصر التعدد - يقصد أسطورة تعدد الآلهة الإغريقية - فى الفلسفة الإغريقية : عثرنا عليه فى صورة تغاير ما يكون عليه فى الديانة الشعبية .. عثرنا عليه مصقولاً]..

أو بعبارة أخرى : عثرنا عليه خفياً مستوراً . إذ الفرق بين : فلسفة .. وديانة شعبية . ليس فى ذات العناصر التى تكون فى كل منهما .. بل فى الصورة التى تبدو فيها هذه العناصر . تبعاً للفرق بين العمل العقلى الذى هو أساس الفلسفة . والتصور الخيالى البدائى الذى هو أساس العقيدة الشعبية][1] .

المثال :

(١) يتخذ الدكتور محمد البهى من (نظرية الصدور) مثالاً على مدى تأثير الأسطورية البدائية التى وجدت فى الديانة الإغريقية الأسطورية . فيقول :

وأهم هذه العناصر التى تعد طابعاً للديانه البدائية على العموم : عنصر اعتقاد التعدد فى مصادر التأثير فى الكون . وفيما يجرى فيه من أحداث ..

ومعنى ذلك : أنه يعتقد أن المؤثر فى الكون متعدد وليس واحداً هو كثير مختلف . موزع بين قوى الطبيعة . أو قوى أخرى مجردة عن مشخصات الطبيعة .

---

(١) راجع فى تفصيل ذلك من ص ١٣٣ إلى ص ١٣٨ من كتاب (الجانب الألهى) .

فنسبة التأثير فى أحداث الكون إلى : عقول الأفلاك . كما يراه بعض فلاسفة الإغريق فى الصلة بين عقل القمر وعقل الإنسان .

ينبئنا عن أثر العقيدة الشعبية اليونانية - وهى أساطير - فى الفلسفة الإغريقية .

فالعلة الأولى ليست هى وحدها المؤثره فى الكون فى نظر الفلاسفة . بل بجانبها قوة أخرى لها التأثير فيه وهى :

تلك العقول التى تحرك الأفلاك . وهى متعددة مختلفة المنازل والمراتب .

غير أن : العقيدة الشعبية إذا عبرّت عن مصادر التأثير هذه بالآلهة .. عبّرت عنها الفلسفة بالعقول .

والاختلاف بينهما إذن فى التعبير فقط .. لكنه ينبئ من جهة أخرى فى مجال: التطور الفكرى عن : الفرق بين تصور إنسانى بدائى وتفكير منطقى .

(٢) - كما يتخذ الدكتور محمد البهى (النار) التى قال بها (هيرقليطس) فى تفسيره للعالم فى الفلسفة الإغريقية . دليلاً على : تغلغل الأسطورة فى الفلسفة الإغريقية ..

فيقول : وجعل " النار الهيرقليطية " أصـلاً للعـالم فى الفلسفة الإغريقية . ربما يعتبر أثراً من آثار تقديس " النار" على العموم .. وقد تسرب كثير من رسومها إلى الإغريق عن طريق الاختلاط بين الشرق والغرب القديم . وربما يعد أثراً لما عرف فى القصص الدينى للشعب الإغريقى من أنه كان يؤله (النار) .

وعلى كل حال . فالرأى الفلسفى القائل بجعلها أصلاً للعالم ذا صلة وثيقة بتقديسها فى الديانات القديمة .

(٣) كما يتخذ الدكتور محمد البهى من فكرة (العقل) عند المدرسة الإيلية الدليل على أن الأساطير سرت فى الفلسفة الإغريقية .

فيقول : وجعل « العقل الإيليانى » أصلاً للعالم فى الفلسفة أيضا ربما كان نتيجة لتقديس (النفوس).

وقد كان تقديسها أصلاً لعقيدة التأليه فى الديانات البدائية .

ويحدد الدكتور محمد البهى موقفه من الفلسفة الإغريقية بصورة عامة . فيقول . [فالفلسفة الإغريقية كما تشتمل على عنصر « الوثنية » - الأساطير- فى صورة مقنّعة غير صريحة . وهو : عنصر اعتقاد التعدد فى مصادر التأثير : تشتمل أيضاً على تضارب خفى مستور أو على عدم انسجام تـام بين الفكر والآراء التى جاءت نتيجة لبحوث فى موضوعات مختلفة . أو كـانت جمعـاً لاتجاهات فلسفية متعـددة ..].. [1].

وهكذا يظهر لنا بصفة عامة كيف تبدو (صورة) الأساطير فى الفلسفة الإغريقية .

وهذا يفرّع علينا : أن نقوم بعمل (تمشيط) سريع لأهم العصورالإغريقية الفلسفية . حتى نبرز ما فيها من (آثار أسطورية) باختصار ..

ثانيا : عصر ما قبل سقراط والأسطورة :-

ذكر الباحثون الغربيون أن معظم الأساطير الخرافية تسبق كل تاريخ مدوّن . وترجع إلى عالم آخر من الدين والفكر والاعتقاد فتمتزج من هنا الأساطير بالعقائد والأفكار .

ولما كانت الأساطير : مجموعة من الأخبار تتصل بتجارب الإنسانية منذ القدم. فقد حرص الإنسان على نقلها بالرواية والأشعار غير المدوّنة عبر الأجيال ..

والأساطير تشكل (عالما) يوازى عالم الإنسان بالرغم من أن أبطال (الأساطير). بلا أبعاد أو ملامح مميزة . أو وجود منظور .

وأهم ما يميز (أبطال) الأسطورة .. أنهم يواجهون القوى الغيبية بتصرفات خارقة تثير الدهشة والأعجاب .

فالأسطورة تعتمد على (البطل) ولا تعوّل على (الحديث) بذاته وإنما (الحدث) وسيلة ضوئية لكشف جوانب العظمة والحركة فى (البطل) ..

----

(١) راجع ص ١٣٨ وماقبلها من المرجع السابق .

ولعل هذا هو الذى أفسح المجال لأساطير (الحيوان) أيضاً أن تحتل لها مكاناً بجانب : أساطير الآلهة وأساطير الأبطال .

وقد عرف الإغريق هذه الأساطير . وعرفت عندهم بأسم (فابولات) . Fabula ولكنهم ليسوا أول من عرف (الفابولات) .. فقد سبقهم (الشرق) .

ولكن الإغريق [لهم الأولوية فى صنع الأساطير][1].

والأساطير فى انتقالها عبر التاريخ من بقعة إلى أخرى .. كانت تسجل تاريخاً وتحفظ مشاهد تدل الأساطير على أن فيها معنى (سحرياً) : (فالأسطورة هى الصياغة الأولى للتاريخ والجغرافيا والاجتماع][2] .

والأسطورة بذلك : تقوم على تحريف الواقع . ولقد فطن (بوهيموروس) الشاعر اليونانى(القرن الرابع ق.م) إلى (الجوانب التاريخية وقرر أن الأسطورة «عادة» تاريخ متنكر][3] .

ويذكرنا لنا أحد الباحثين : أن (نيتشه) الفيلسوف الألمانى المعاصر عندما أراد أن يقيّم (الحضارة الإغريقية) نهج فى ذلك التقييم نهجاً يتفق مع وضوح رؤيته للفلسفة الإغريقية .

فيقول : (عندما أراد (نيتشه) أن يسمى الحضارة اليونانية إسما يعبّر عن خصائصها العامة كلها . أعطى لها إسم : الحضارة أو الروح : الأبولونية . نسبة إلى : الآله « أبولّو» (١) . الذى يمثل الروح اليونانية من بين جميع الآلهة ..

وعارضها بتسمية أخرى هى : « الروح الديونيزوسية» نسبة إلى : الآله «يونيزوس» أو « باخوس» .[4]

---

(١) راجع ص ٩ ومابعدها من كتاب (الحكاية الخرافية) تأليف (فريد ريك فون لاين) الالمانى ترجمة الدكتورة نبيلة ابراهيم . نشر مكتبة نهضة مصر سنة ١٩٦٥ م

(٢) راجع ص ١٣٤ من كتاب (البطل فى الأدب والأساطير) للدكتور شكرى عياد . نشر (المعرفة) سنة ١٩٥٩ .

(٣) راجع ص ٣ من كتاب (هوميروس شاعر الخلود) . د / محمد صقر خفاجة نشر نهضة مصر سنة ١٥٩٦ .

(٤) راجع ص ٣٧ من كتاب (ربيع الفكر اليونانى) د/ عبد الرحمن بدوى . نشر مكتبة النهضة المصرية سنه ١٩٤٦ م .

الخلاصة.

ومن هنا ندرك أن السمة العامة عند الإغريق هي (الأساطير) وقد عبرّ عن ذلك (نقاد) الفلسفة الإغريقية قديماً وحديثاً بصفة عامة . مشيرين إلى مالاحظوه في خلايا الفلسفة الإغريقية من أساطير وخرافات ..

ولعلّ تأثر الفلاسفة والفلسفة بالأساطير هي جعلت الفلسفة الإغريقية تبدو غير متسقة أو منسجمة مع طبيعة العقل العام .

وهذا هو الذي جعل أحد الباحثين وهو يتحدث عن الفلسفة الإغريقية وما تحتويه من تعارض وتفرق للآراء ونقص الحقائق فيها رغم ثقة الفلاسفة أنها : الحقيقة الكاملة .. أن يقول : ولقائل أن يقول بعد ذلك ما من فكرة غريبة أو باطلة إلا وقد صدرت عن فيلسوف .. غير أن هذه العبارة ومثيلاتها لا تحط من قدر الفلاسفة مادام غرضهم السعي وراء الحقيقة . فقد قيل أيضا : إن تاريخ الفلسفة سجل أخطاء العقل ..[1].

وهذا يوضح بجلاء مدى تأثر (الفلسفة الإغريقية) بالأسطورة وأن هذا يظهر جلياً لأي ناقد أو باحث في الفلسفة الإغريقية .

ورغم أنّ هذا يعبّر عن غايتنا من هذا (البحث) . فإننا سنحاول إيراد بعض (الجزئيات) . التي توضح بيقين المعنى (الكلي) .

---

(١) راجع ص (ل) من مقدمة كتاب (دروس في تاريخ الفلسفة) د/ ابراهيم مدكور

تعتبر الفلسفة الإغريقية مرحلة (ماقبل سقراط) حلقة بين (سقراط) وبين (هوميروس وهزيود).

ولذلك : فمن الطبيعى أن تحفل بالكثير من الأفكار الفلسفية التى متحت من الأساطير الإغريقية .. بل من الأساطير الشرقية أيضاً .

باعتبار أن الفلسفة حركة فكرية تصدر عن عقول متأثرة بتاريخ وبيئة .. وآملة فى مستقبل (هلامى) ترجوه بتلمس ليس على درجة البصر .. وإنما على (بصيرة) قد تفتح الطريق للأسطورة ..

ونعنى بالبصيرة هنا : تلك الروح الإنسانية المشرئبة إلى (غد) بدافع ذاتى دون سند من (وحى الله تعالى) ..

ومن هنا : حفلت الفلسفة الإغريقية - قبل سقراط - بالكثير من الشطحات الأسطورية الخصبة. وكأنها تقليد لهزيود على استحياء .

ويعترف بهذه الحقيقة أحد المعجبين بالفلسفة الإغريقية إلى درجة التعصب لها[1] فيقول [إستهلت الفلسفة اليونانية فجر حياتها بالبحث فى أصل الكون وطبيعته .

---

(١) فيقول فى إغرق : (وفى قمة سامقة من قمم الصعود الإنسانى إرتفع الأغارقة . وباهوا الأمم والشعوب بسخاء عطائهم وعظم تراثهم ودقة أحاسيسهم وسمو مشاعرهم فقد مرّوا - الإغريق - فى هذا العالم كما يمر الغمام فوق أرض قفر وواد غير ذى زرع . فكانوا كالأمل المشرق فى عتمة اليأس . ثم مضوا كالحلم . تاركين وراءهم الخضرة والنضرة والرداء لقوم غراث عطاش .. إن اليونان هم : أساتذة العالم القديم والأوسط والحديث ..]

راجع ص ٥٧ ومابعدها من كتاب (من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية) د/ محمد عبد الرحمن مرحبا . نشر عويدات سنه ١٩٨١ بيروت .

وكان ذلك امتداداً طبيعياً لشغف شعراء المأساة الإغريق . الذين كانت لهم شطحات أسطورية خصبة فى تفسير الكون وعلاقته بالآلهة - كما هو الحال عند هزيود مثلا - لكنها شطحات أسطورية لا تخلو مع ذلك من الإيمان بشئ من القانون الذى يحكم سير الحوادث ويضبط نظام الأشياء .

وأول - هؤلاء - فيلسوف بحث فى أصل الكون وطبيعته وهو : طاليس الملطى (المتوفى سنة ٥٤٧ ق.م) [١].

وقد جعل (طاليس) أسطورة (زيوس) عقيدة له .. فجعله فوق الآلهة[٢] .

وإذا كان (طاليس) قد فسر العالم بالماء .. فإنه انطلق من تفسيره هذا إلى رؤية (أسطورية) كانت معاصرة له عند الإغريق .

فإنه عندما ذكر أن (الأرض) قرص متجمد يسبح فوق (لجج) من الماء . وهذه اللجج مترامية الأبعاد . وليس لها (نهاية) ..

وقد نقل (أرسطو) عن (طاليس) أنه قال : (كل الأشياء تنبئ عن آلهة وأن المغناطيس به حياة لأنه يحرك الحديد][٣] .

كان (طاليس) فى الحقيقة يصدر عن واقع إغريقى فى الأسطورة تحدثت عن أسطورة للآلهة الذين يعيشون فى مكان (ما) فى (البحار) . ويحرك (الماء) لأنه إله (البحر) ..

وقد (خيّل - والخيال منهج الأسطورة - إلى طاليس أن الأرض قرص متجمد يسبح فوق لجج مائية ليس لأبعادها نهاية .

---

(١) راجع ص ٨٦ من المرجع السابق ..

(٢) راجع ص ٨٧ من كتاب (ربيع الفكر اليونانى).

(٣) راجع ص ١٣ من كتاب (فلاسفة الإغريق) تأليف(ريكس وورنر) ترجمه عبد الحميد حسين

ويرجح أرسطو : أن يكون طاليس قد خلص إلى هذه ك النتيجة لما رأى أن الحياة تدور مع الماء وجوداً وعدماً .[١]

ويشير بعض الباحثين إلى أن الفلسفة الإغريقية فى تلك المرحلة الفلسفية . كانت تحوم حول الأساطير . وأنها لم تعرف إلا الميدان الذى علمته من (الأساطير). وهو (العالم الخارجي) عن الإنساني ..

فيقول [ويلاحظ على هذه الفلسفات جميعاً - الأيونية - أنها كانت متجهة نحو العالم الخارجى : عالم الأرض والسماء وسعة الأفلاك وأما العالم الداخلى مصدر الأخلاق .. وأما (العقل) مصدر المعرفة ومستقرها . فقد كانت الفلسفة اليونانية آنذاك . لا تزال بعيدة عنهما . قاصرة عن النفاذ اليهما واستيعابهما .. فإن البحث فى الطبيعة أقرب منالاً][٢]

ولكننا نجد الدكتور عوض الله حجازى يقرر فى وضوح شيوع الأسطورة فى الفلسفة الأيونية الإغريقية . فيذكر بعد مقارنة بين الإغريق وغيرهم :
[أن الفيلسوف اليونانى الأول « طاليس » لم يكن مبتكراً لفكرة جديدة إنفرد بها هو ..

دون أن يكون لهذه ما أثارها فى عقله من الأساطير الشرقية القديمة . واستطعت أن « تجزم » بأن الفلسفة الطبيعة اليونانية . لم تكن إلا صورة جديدة لفكرة - أسطورية - شرقية قديمة][٣] .

---

(١) راجع ص ٢٠ من كتاب (قصة الفلسفة الحديثة) د / زكى نجيب محمود - نشر دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٥ .
(٢) راجع ص ٨٨ من كتاب (من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية) د / محمد عبد الرحمن مرحبا .
(٣) راجع ص ٢٨ من كتاب (فى الفلسفة الإسلامية وصلاتها بالفلسفة اليونانية) للدكتور عوض الله حجازى

ومن (المدرسة الأيونية) كان (هيرقليطس) الذى علمنا أن (ناره) قد أخذت من أسطورة (الباندورا) .

و(هيرقليطس) صاحب العبارة (الأسطورية) فى تفسير العالم [أنت تنزل النهر ولا تنزل النهر] . تعبيراً عن قانون (التغير) فى فلسفته .[1]

----

(١) راجع ص ٣ من (دروس فى تاريخ الفلسفة) دكتور / إبراهيم مدكور .

الفيثاغورية والأسطورة

يعتبر (فيثاغورس) المؤسس للفيثاغورية الفلسفية وهو شخصية قوية مهمة غامضة ..

ومن الملفت : أن (فيثاغورس) شاع عنه الكثير من (الأساطير) والخرافات . والتى تناولت سيرته الذاتية .[1]

فانتحلت له من الأخبار الأسطورية والمعجزات الخرافية الشئ الذى صيرّ (فيثاغورس) أقرب إلى : أبطال الخيال والأساطير منه إلى : أشخاص التاريخ .

[وهذه البداية عن (الفيثاغورية) توضح لنا ذيوع الأسطورة عند الإغريق .. بل وأستعدادهم لتقبلها واختراعها .. كأن الخيال الأسطورى (ملكة) تؤجج قرائحهم. فلأول مرة حول فيثاغورس الفلسفة الى شئ يمكن أن ندعوه (دينا) إغريقياً أو طريقاً للحياة][2].

وقد أسس (فيثاغورس) : الجمعية الفيثاغورية . التى كانت تنزع إلى الاتجاه (الصوفى الغامض[3] وهذا ما جعل الناس يحوكون حولها الأساطير .

وقد اتصلت تلك الطائفة الفيثاغورية بمذهب ينتمى إلى شاعر قديم يدعى (أورفيوس - ORPHEUS قيل فيما روى عنه من الأساطير إنه استطاع أن يحرك الجماد بقوة أشعاره وسحر غنائه فاستمدوا منه كثيرا من الموسيقى وأصولها .

---

(١) يقول باحث معاصر : ولقد صار فيثاغورس شخصية أسطورية . راجع ص ٢٤ من كتاب (فلاسفة الإغريق)

(٢) راجع ص ١٩ من كتاب فلاسفة الإغريق (ريكس وورنر)

(٣) راجع تفصيل (صوفيه الفيثاغورية) ص ١٣٦ من كتاب (الجانب الإلهى)

كما أخذوا عنه القول بتناسخ الأرواح [١]. من بدن إلى بدن ومن إنسان إلي إنسان أو حيوان [٢].

وقد أقامت الفيثاغورية فلسفتها على أن : العالم : عدد ونغم . وقد سرت (الأسطورة) فى قوام هذه الفلسفة ..

ويكفى لإبراز خلط الفيثاغورية الفلسفة بالأسطورة أن : نوضح موقفا لهم فى (الأعداد) . كانوا فيه كوامن أسطورية . فعبدوا الأرقام عبادة حقيقة . لأنهم كانوا يدينون بالديانة (الأورفية) الوثنية الأسطورية . [٣]

فقد اعتقد الفيثاغوريون أن فى رقم (١٠) عشرة - سراً إلهياً غامضاً . وأن هذا الرقم يحتوى على قوى خفية مقدسة .

ويصف أحد الباحثين هذه النزعة الأسطورية عندهم فيقول :

[ويقدسون عدد (١٠) . لأنه مجموع الأرقام الأربعة الأولى :١+٢+٣+٤ - ويحلفون به - كما يحلف بالآلهة - ويضعونه فى صورة (الهرم) هكذا .ٌ.

---

(١) تناسخ الارواح أسطورة هندية قديمة باطلة . وكل فكرة أو مذهب أو فلسفة أو عقيدة تدخله أسطورة التناسخ تكون : أسطورية خرافية باطلة .

وقد سرت أسطورة التناسخ عند جميع الفلاسفة الإغريق عدا (أرسطو) .

وقد أجريت دراسة مستفيضة فى هذا الشأن فى بحثنا للدكتوراه (عقيدة التناسخ وموقف الإسلام منها) والبحث مخطوط بمكتبة كلية أصول الدين بالقاهرة .

(٢) راجع ص ٢٩ ومابعدها من كتاب (قصة الفلسفة اليونانية) د / أحمد أمين ود /زكى نجيب محمود

(٣) الأورفية [اتجاه فى علم الأسطورة الإغريقية ظهر فى القرن الثامن ق.م :بعبادة الشاعر الأسطورى أورفيوس والآله ديونيزوس . وكان للأورفية : تأثيرها البالغ على : الفلسفات الإغريقية .خاصة : الفلسفة المثالية .]

راجع هذا النص في هامش ص ٢٢ من كتاب (فلاسفة الإغريق) .

وهذا إغراق فى - الأسطورة - والوهم [1].

وفيثاغورس . كان مغرقاً فى الأساطير .. فقد أنشأ (الجمعية الفيثاغورية) بداية . لتكون مركزاً لتعاليم العقيدة الأسطورية (الأروفية) .

كما كان (فيثاغورس) يؤمن بأسطورة تعدد الآلهة . وهو الذى قال :

[لست حكيماً . فإن الحكمة لا تضاف لغير الآلهة . وما أنا إلا فيلسوف . أي محب للحكمة .. وعنده : أن أزمنة التقمص قد حددها الآلهة] [2].

ويعترف أحد الباحثين على مضض بوجود الأسطورة عند الفيثاغورية فيقول : (إنهم كانوا يربطون الأعداد بمعتقداتهم الدينية . فكان لبعض الاعداد سرٌ خاص . وكانوا فى هذا متأثرين من غير شك بالمذاهب الشرقية)[3].

وقد يعجب الإنسان من هؤلاء الذين أمضهم الإعجاب بالإغريق ويتطوع للدفاع عن أسطورية فلسفتهم . ويقطع بيقين لست أدرى من أين أتى به ..؟..

إن (التسرب) لا يهمنا .. وإنما دعوانا فى (وجود) الأسطورة فى الفكر الإغريقى .

وترى (الفيثاغورية) الأسطورة (ديناً) وفلسفة . فتقول : [إن الذرات الهوائية التى نجدها فى أشعة الشمس ليست الا نفوساً إنسانية انفصلت عن أبدانها وعاشت محلقة فى الهواء] .

ويعقب أحد الباحثين على هذه (الأسطورة) فيقول : [إن هذا الرأى الذى قال به الفيثاغوريون . لم يكن رأياً علمياً قالوا به . بل كان معتقداً دينياً . أغلب الظن أنهم أخذوه عن الشرقيين (!) .. كذلك الآراء التى وردت عن الفيثاغوريين فيما يختص بالآلهة .. فهم قد أخذوا إذن بالمعتقدات الشعبية - الأسطورية -] [4].

ولعلنا : نكون قد ألقينا الضوء على : الجوانب الأسطورية عند (الفيثاغورية) بالذات . التى تدل علينا مدرستها وتفاخر بأنها : فلسفته (التجديد) والرياضيات.

----

(١) راجع ص ٣٥ من المرجع السابق .

(٢) راجع ص ٥ وما بعدها من كتاب (دروس فى تاريخ الفلسفة) د/ إبراهيم مدكور .

(٣) راجع ص ١٠٨ من كتاب (ربيع الفكر اليونانى) د/ عبد الرحمن بدوى .

(٤) راجع ص ١٥ من المرجع لسابق .

الأسطورة والإيليون

رغم محاولة (المدرسة الإيلية) مناهضة عقيدة اليونان الأسطورية فإنها لم تستطيع التخلص تماماً من الجانب الأسطورى ..

فقد شاع عند فلاسفتها القول بالدورة الأبدية الأسطورية التى تعد (خرافة) من الأساطير الباطلة .

فقد قال (أكسونوفان) : بخروج اليابس من البحر وأنه سيغوص فى البحر مرة ثانية . وسينمحى البشر . ثم تعود الأرض .فترتفع وسيبدأ الإنسان حياته الأولى . ثم تغوص ثم تعود وهكذا .. وتولد فى عالم (الغيب) شمس حديدة تشرق علينا كل صباح بدلاً من الشمس التى تذهب فى الأفق البعيد إلى غير رجعة .[1].

ونجد من يقول عنه : [إنه كان فيلسوفاً طبيعاً . ثم أصبح من بعد فيلسوف دين - يقصد دين الإغريق الأسطورى الوثنى - أو صاحب . مذهب ميتافيزيقى لاهوتى . فلم تكن الطبيعيا بالنسبة إليه غير مقدمة للإلهيات][2] .

ويبنغى أن لا نفهم من عبارته تلك : أنه يذهب إلى التأمل فى ملكوت السموات والأرض ليصل إلى (الله)..!..

ولكنه يقصد أن حركة (الطبيعية) تسيرها قوى خفية هى (الآلهة) التى قالت عنها (عقيدة الإغريق الوثنية) .

وقد خرج من المدرسة (الإيلية) الفيلسوف (أمبذوقليس) الذى تأثر بفلسفة (فيثاغورس) فصار (الشبه) بينهما شديداً [3].

وهذا يرشح لجوانب (الأسطورة) فى فلسفته . لكننا بجانب هذا نجد له قولاً يوضح مدى تعلقه بالأسطورة .. وكيف لوّن هذا القول فلسفته بالأسطورة .

----

(١) راجع ص ٤٠ بتصرف من كتاب (قصة الفلسفة اليونانية).

(٢) راجع ص ١١٩ من كتاب (ربيع الفكر اليونانى) .

(٣) راجع ص ٦٢ من كتاب (قصة الفلسفة اليونانية)

يقول امبذوقليس : [إسمعوا أولاً عن ماهى الأصول الأربعة لكل الأشياء .
زيوس Zeus المشرق و : هيرا HERA واهب الحياة . ثم إيدنيوس AIDONEUS و : نستير NestiR اللذان قطـرات دموعهمـا ينبـوع للبشر لا ينضب .. وقد ولدت كائنات كثيرة بوجوه وصدور تتطلع فى مختلف الاتجاهات. بعضها نسل (ثيران) لها وجوه البشر بينما غيرها مرة أخرى : ولدت كنسل بشر لها رؤوس (ثيران) . وكائنات متثاقلة بأيد لا حصر لها ..]

وقبل هذا يقول : [على الطين ظهرت رؤوس كثيرة بلا رقاب ولا أذرع تهيم عارية بلا أكتاف . وتحركت عيون زائغة أعلى وأسفل تنقصها حياة) [١]

تلك (نماذج) من الصور الأسطورية عند المدرسه (الإ *يلية) الإغريقية .

----

(١) راجع ص ٤١ و ص ٤٣ من ك (فلاسفة الإغريق) .

الفصل الرابع

الأسطورة
وشوامخ الفكر الإغريقى

يجمع مؤرخوا الفلسفة أن العصر الزاهى للفلسفة الإغريقية هوتلك الفترة التى جمعت حلقات أعظم الفلاسفة الإغريق على الإطلاق وهم : سقراط . وأفلاطون . وأرسطو . [٤٦٩:٣٢٢ ق.م) فهم بحق (شوامخ) الفلسفة الإغريقية بما قدموه من فلسفات . وما صاغوه من مناهج متسقة .. بغض النظر عن : النتائج التى توصلوا إليها فى ميادين لم يدركوا أنها تحتاج إلى منهج آخر .. مثلما فعلوا فى (الجانب الآلهى) .

وقد كان يكفينا أن نلفت النظر إلى وجود (الأسطورة) عند هؤلاء الشوامخ ليستقيم لنا غايتنا من وجود الأسطورة فى الفكر الإغريقى باغتبارهم (حلقة) رائدة فى التفلسف الإغريقى ..

ولكننا آثرنا أن نقدم لأسلافهم . لنؤكد أن (الفيلسوف) إنما يمتح من عصره وبيئته . مهما سابق هذا (العصر) . وراد تلك (البيئة) .

وأحب أن أنبه إلى أن (الأسطورة) عند هؤلاء الشوامخ تبدو (مغلفة) فى طيات فلسفاتهم .. وتسبح تحت طبقات فكرهم كما يعج باطن الأرض الصحراوية العطشى بالماء العذب الكثير والذى يحتاج فقط إلى من يحفر له مسلكاً . فيصير (بئراً) ..

ومن هنا فإن (الأسطورة) لن نجدها عند (الفلاسفة) وبخاصة (الشوامخ) . مثلما وجدناها عند (هوميروس وهزيود)

وإنما سنجدها (مقنعة) مستورة بعقل (يتثاءب) متمطياً يحاول (اليقظة) من نوم طويل .

وقد لمسنا بعض (الشذرات) الأسطورية متناثرة فى الحلقات الفلسفية على هيئة (امتداد) للوجود الأسطورى .

وقد قصدنا حقيقة من هذا الإبراز أن نبين أن الأسطورة وجودها (مستمر) عند الإغريق .

بل لعلى لا أبالغ إذا قلت : إن الأسطورة ظلت (مرافقة) للفلسفة الإغريقية . لدرجة أنها تسربت منه إلى كل من تأثر فيما بعد بهذه الفلسفات الإغريقية مثل المسلمين فى العصر الوسيط . وأوروبا فى العصر الحديث .

وقد اتفق معى فى دعوى تسرب (الأسطورة) الإغريقية من الفلسفة اليونانية إلى غير الإغريق كثير من الباحثين [1].

ومن هنا : فإن (الأسطورة) كانت (صنواً) للفكر الإغريقى تواكبه وتناكبه .. بل غالباً ما تروده وتقوده .

وفى بكور (النزعة الفلسفية) منذ بداية القرن السادس قبل الميلاد زامنت (الأسطورة) الفلسفة الإغريقية .. تمدها .. وتساندها ..

ويذكر بعض الباحثين : أن الأساطير ظلت (مسيطرة) على الفلسفة الإغريقية منذ ظهورها . بحيث لا يستطيع (الفيلسوف) أن (يميز) بين ما هو (أسطورى) وبين ما هو « فلسفة » لأنه كان يرى الأسطورة (ديناً) مقدساً .

بل قد يبلغ به الأمر أن تشيع فى نفسه درجة (الثقة) بالأسطورة أكثر من ثقته بنتاج عقله .. باعتبار أن الأسطورة : مستندة إلى عقيدته الوثنية التى يؤمن بها ويعتقد صدقها ..

وبسبب هذه (السيطرة)للأسطورة - كما يرون - قامت الحركة (السوفسطائية) التى كانت (ثورة) - كما يدعون -على وجود الأسطورة فى الفكر الإغريقى .

فقام (السوفسطائيون) بمحاولة لتخليص (الفكر الإغريقى)من شيوع الأسطورة.

ولولا (تطرف) المنهج السوفسطائى - كما يقولون - ومهاجمتهم (لبداهة) العقول . لكتب للسوفسطائية النجاح فى مهمتها وهى : القضاء على الأسطورة .

ويقولون فى ذلك : (إن السوفسطائيين هم الذين أيقظوا العقل من سباته العقائدى - عقيدة الدين الإغريقى الوثنى الأسطورى . وانتصروا لاستقلال الفرد.. ولئن أثاروا من المشاكل أكثر مما قدموا من الحلول .. فحسبهم فخراً أنهم أنجبوا «سقراط»

---

(١) راجع ص ١١٢ من كتاب (أساطير إغريقية) وص ٤٨٩ من كتاب الجانب الآلهى وص ١٣٢ من كتاب (فلاسفة الإغريق وص ١٨٧ من كتاب (خريف الفكر اليونانى) .

ولقد أفادت الفلسفة كثيراً من هذه المحاولات جميعاً : طبيعية كانت . أو : إنسانية . تلك المحاولات التى تحررت من أى تصوف دينى كان من المعقول أن نتوقعه من مفكرين كالسوفسطائيين . قد استخدم أسلافهم عبارات أسطورية للتعبير عن أنفسهم . اللهم إلا إذا استثنينا مدرسة « الفيثاغوريين» التى يكتنفها غموض شديد . فهى على الرغم من نزعتها الصوفية [1] الواضحة إلا أنها تلح على : فكرة العدد والتناسق .][2].

ومثل هذه الآراء ممن يتيهون إعجاباً بالفكر الإغريقى تدلنا بوضوح على مدى وجود (الأسطورة) فى الفلسفة الإغريقية وأن هؤلاء المعجبين بالإغريق . يجعلون (الأسطورة) نقطة سوداء فى الثوب الابيض . فيحاولون محو (عار) الأساطير . بمثل هذا التمحل اللأمنهجى .

ولكن هذه (الضمادات) من هؤلاء الباحثين تكفينا فى التدليل على إقرار كل الاتجاهات بوجود الأسطورة فى الفكر الإغريقى .

ولا ينبغى أن يفهم من ذلك . أن (غايتى) : معاداة الفكر الإغريقى بصفة عامة.. فهو خطوات على طريق العقل الإنسانى وقد أفادت البشرية من فلسفته وفكره ..

لكن يؤرقنى : نزعه (الاستعلاء) بالفكر الإغريقى من بعض الدارسين الذين نهلوا منه . وصوروه على أنه (معصوم) عن الخطأ منزه عن (النقائص) .

كما يؤرقنى من الفكر الإغريقى وفلاسفته : الإصرار على أن يكون لهم فلسفة ورأى فى (الجانب الآلهى) مع أنه جانب لا يمكن بمناهج الإنسان : الحسية والعقلية.. بل والإشراقية : أن يصل إلى تلمس الحقيقة فيه إلا بطريق (الوحى) من الله تعالى .. بمنهج (النبوات) التى يرسلها الله سبحانه وتعالى للبشرية .

---

(١) يلاحظ مدى التعصب للفكر الإغريقى . فالبرغم من أنه يعترف بالعلاقة بين الاتجاه فى التصوف الدينى والأسطورى . فإنه يخرج (الفيثاغورية) من ميدان (الأسطورة) مع اعترافه بنزعتها الصوفية .. وهذا تناقض كما أنه اعترف بوجود (الغموض الشديد) حول الفلسفة الفيثاغورية . فكيف أتيح له هذا الإخراج .. مع هذا : الغموض .. ؟ ..

(٢) راجع ص ٩١ من كتاب (من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية) د / محمد عبد الرحمن مرحبا .

ومن هنا : كان تحفزى لإلقاء الضوء على الجانب (الأسطورى) فى الفكر الإغريقى.. وأنه تفكير بشرى عرضة للأخطاء والنقائص .

وأنه فى (الجانب الآلهى) كله أخطاء .. لتجرده من مناهج (الوحى) وهذه حقائق ثابته أقر بها كل الدارسين للفلسفة الإغريقية .

ونحن لا نوافق على أن (السوفسطائية) قامت بدورها وقد نجت من (أحبولة) الأساطير فى حلقة متميزة فى سلسلة الإغريق .

فإننى أعتقد أن العقل (السوفسطائى) .. كان (غراساً) لذيوع الأسطورة عند الإغريق .

فقد أصيبت بعض العقول بالاضطراب الفكرى من أثر تصوير (الأسطورة) بصورة (عقلية) . وهذا فى حد ذاته (مأساة عقلية) .

إذ كانت (الأسطورة) من قبل تقدم على أنها (دين) أو (شعر) أو (فن) . فكان الناس يستقبلونها بمنهج استقبال الأساطير .. وهو : غيبة العقل .

فلما جاء (الفلاسفة) .. حاولوا ايقاظ العقل الإغريقى ولكن بالأسطورة .. وتم مزج الإسطورة بمناهج العقل وقدمت الأسطورة فى ثوب عقلى . أو قدم العقل فى ثوب اسطورى .

وهنا أحدث هذا (التشويه) للعقل الإنسانى (ردّ فعلى) قاهر فى (الحياة العقلية) الإغريقية .

وكانت هنالك الاتجاهات المضطربة . والتى كان منها - فيما أعتقد - (السوفسطائيون) الذين كانوا (ضحايا) تسطير العقل . أو بعبارة أخرى : ضحايا تعقيل الأسطورة ..

ولما كان : العقل والأسطورة .. لا يجتمعان .. كان الانفصال العقلى عند (السوفسطائية) . الذين جعلوا (الإنسان) بذاته (الجزئية) مقياساً لكل الحقائق[1]. فجعلوا (الجزء) حاكما على (الكل) .. وتلك - فى نظرى - أخطر الأساطير البشرية .

ولعل هذا الجانب . هو الذى : استنفر (سقراط) لجدالهم فإنه .. كان (يعتقد) الأسطورة بشكل لافت .

---

(١) راجع التفصيل ص ١٦٣ ج ١ من ك (نشأة الفكر الفلسفى في الإسلام) د/ على سامى النشار

الأسطورة وسقراط

(٤٦٩ : ٣٩٩ ق . م)

رأينا كيف أن الفلسفة الإغريقية لم تستطع النجاة من (الأسطورة) وإن ظهر إنها تحاول (إخفاء) هيكلها الأسطورى .

حتى أننا نجد : [أن كل ما يمكن أن ندعوها المواقف « العلمية » أو «الفلسفية» تميل إلى الدخول فى صراع مع العقيدة الأسطورية التقليدية][1]. ناهيك عن المواقف العقائدية أو (الميتافيزيقية) .

وقد تأثر (سقراط) بالفيثاغورية [2].فكادت أن تصبغ فلسفته . لولا ما وهب من تميز فى شخصه وعصره . وقد [ذكروا أنه من تلاميذ فيثاغورس] .

ويؤكد أحد الباحثين هذه الصلة فيقول : [ونحن نعلم أن النزعة الفيثاغورية كانت غالبة عليه] [3].

وقد كان عصر (سقراط) من أزهى العصور فى (أثينا) . فقد انتصر اليونان على الفرس .. وعاش الإغريق فى ظل الحرية السياسية التى أتاحها (بريكليس) ٤٩٩:٤٢٩ ق.م

وصارت (أثينا) مركزاً لحركة ثقافية وفنية وفلسفية . وماجت بالكثير من الآراء والأفكار . [فلقد كان من أثينا فنانون يرهفون النفوس بفنهم . وكان فيها شعراء يمسّون شفاف القلوب بقصصهم وأساطيرهم وكان فيها رجال دين يقيمون الشعائر والطقوس .. وكان فيها سوفسطائيون يشككون الناس .. وجاء (سقراط) لينضم إلى هذه (الجوقة) وينّسق العمل معها . فيعزف الجميع قيثارة واحدة

----

(١) راجع ص ٥٧ من كتاب (فلاسفة الإغريق) تأليف /ريكس وورنر .

(٢) راجع ص ١١ من المرجع السابق .

(٣) راجع ص ١٦٤ ح١ من كتاب (نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام) د/ على سامى النشار نشر دار المعارف سنه ١٩٧٧م .

(سيمفونية) العبقرية اليونانية] [١].

وقد عاصر (سقراط) الشاعر الإغريقى [أريستوفانيس الذى حفلت أعماله بالأساطير الإغريقية . (إذ لم تكن الأحداث المعاصرة لأريستوفانيس - عصر سقراط - أو الأفكار السائدة فى عصره قادرة على أن تبعده كثيراً عن الأساطير .. لذا نجد كوميدياته - مسرحياتة - مليئة بالأساطير زاخرة بالإشارات والتلميحات الأسطورية] [٢].

وهذا يوضح لنا (عصر) سقراط الملئ بالأساطير بجميع أنواعها .

فهل تأثر (سقراط) بالجو الأسطورى الأثينى فى عصره ... ؟...

المفتاح الأسطورى :

إن البداية لمفتاح شخصية (سقراط) هو دعواه أن الله تعالى يتصل به ..!.. وكان سقراط يعتقد أنه يحمل فى عنقه أمانه سماوية [٣].

وظل (سقراط) مشتغلاً بالفلسفة فى (أثينا) : حتى أتهم فى نحو سن السبعين بإنكار الآلهة والدعوة إلى آلهة جديدة [٤].

وقد جذب (سقراط) نحو (الأسطورة) . (نبوءة) من كاهنة (معبد دلفى) .

فقد حكى (أفلاطون) عن أستاذه سقراط هذه (النبوءة) وهى تصف (الوحى) الذى يحس به سقراط :

يقول أفلاطون:[ذهب شريفون : حاجاً إلى معبد دلفى فسأل الكاهنة : هل بين الرجال من هو أكثر حكمة من سقراط ..؟.. فأجابت : لا .. قال سقراط : فلما نمى إلى هذا الحديث سألت نفسى ماذا يعنى الإله[٥].بهذا الجواب ..؟.. وإلى أي

---

(١) راجع ص ٩٤ من كتاب (من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية) .

(٢) راجع ص ٢٦ من كتاب (أساطير إغريقية) .

(٣) راجع ص ٤٣ من كتاب (فى الفلسفة الإسلامية) د / عوض الله حجازى .

(٤) راجع ص ١.٦ من كتاب (قصة الفلسفة اليونانية)

(٥)يلاحظ عقيدة (سقراط) الوثنيه الأسطورية فى كاهنة معبد دلفى وأنها هى (الإله) أو تتحدث بأسم الإله .

شئ يقصد ..؟.. ولم يدر بخاطرى قط : أننى بلغت من الحكمة شيئا . فماذا عساه يعنى حين أجاب بأننى أوسع الناس حكمة - يقصد الآله الذى على لسان كاهنة معبد دلفى - أنه لا يجوز عليه الكذب . فالكذب مستحيل على الله - يلاحظ فلسفة الأسطورة - ولقد لبثت فى هذه الحيرة طويلاً أسائل نفسى عن معنى : مانطق به الإله ..

وأخيراً . وبعد تفكير طويل قمت بالتجربة الآتية : إلتمست رجلاً ممن يتظاهرون بالحكمة . وظننت أنى سأستطيع أن أفند قول الآلهة وأبلغها : أن هذا الرجل قد بلغ من الحكمة مالم أبلغ رغم قولك : إننى أحكم الناس ..!..

وظل (سقراط) يختبر الحكماء حكيماً حكيماً .. وتأتى النتائج معبّرة عن بُعدهم عن (الحكمة) .

ثم يقول سقراط : .. [وهكذا التمست مدّعى الحكمة واحداً فواحداً . حتى اكملتهم جميعاً وعلمت الحقيقة آسفا] [1].

وهكذا نرى كيف تحكمت (أسطورة) عرّافة (دلفى) فى (سقراط) حتى ذهب يطبق عليها منهجه فى (التوليد). وزرعت فى قلبه (شعوراً) خفياً (أسطورياً) . سيّر حياته الخاصة والعامة .

فقد صار « سقراط » أسير (روح) أسطورية تسيطر عليه وتوجهه . وقد أسلم لها قياده.إذ صار (يعتقد أنه مسيّر بوحى يملى عليه ما يقول . ويرسم له طريق المسير . ويطلعه على نتائج الأعمال قبل حدوثها . وهو : إنما يؤدى رسالة فرضتها عليه الآلهة ..[2].

هذا هو (سقراط) الذى تحركه (أسطورة) الانجذاب برؤى خفية إنصياعاً لأمر (آلهة) الإغريق . إثر كلمة (أسطورية) من نظام الكهانة (الأسطورى) فى معبد (دلفى) الوثنى الأسطورى . فصبغت فلسفته بتلك الصبغة الروحية التى كان لها أكبر الأثر فى الأجيال ..[3].

---

(١) راجع ص ١٠٨ ومابعدها من المرجع السابق .

(٢) راجع س ١٠٧ من المرجع السابق .

(٣) راجع ص ١٢ من كتاب (دروس فى تاريخ الفلسفة) د إبراهيم مدكور .

وهذا (مدخل) لأحد شوامخ الفلسفة الإغريقية .. يفسر لنا ما لاحظناه من (شذرات) أسطورية عليه وعلى عصره ..

وقد ظل (سقراط) مصراً على : أسطورة (تعدد) الآلهة حتى آخر لحظة من عمره . فقال وهو يتجرع سم الموت : لا أظن القانون يحول بينى وبين الآلهة الآن . فلأصل لهم ولأضرع إليهم ..[١].

ونلاحظ هنا : أن (سقراط) يتحدث عن (الآله) بصيغة الجمع فيقول : (الآلهة) . وهو فى ذلك : يصدر عن العقيدة الإغريقية التى كانت تنظر إلى عالم (الاولمب) الإلهى الأسطورى .

وعموماً فقد أورد الباحثون أن كلمة (إله) فى اللغة الإغريقية . معناها (زيوس) Theos . وظلت ترجمتها على أنها (إله) ..

ولكن : بعض الإغريقيين أمثال : إسخيلوس . وأفلاطون يستخدمون كلمة (Theos) بمعنى يختلف عن هذا . وإن كان قريباً . فإن كلمة THEOS عندهم تعنى : قوة أو تشخصاً لقوة فى (عالم الأسطورة) .(MYTHLOGY) [٢].

وغالباً ما تكون هذه (القوة) غامضة خفية يكتنفها الغموض الأسطورى المثير . (THE DARK)

ولعل هذا يقرب لنا : إدراك استعمال لفظ (الإله) عندما يأتى مفرداً . أو (الآلهة) عندما يأتى (جمعاً) فلا نسرع فى إطلاق كلمة (التوحيد) أو (الموحد) على من يتحدث عن (إله) واحد .. عند الإغريق ..

وأن نتريث حتى تستمع إلى (وصف) هذا (الإله) الواحد . فبالوصف .. تظهر عقيدته الموحّدة .. أو الوثنيه الأسطورية .

وسقراط : يتحدث عن (آلهة) أسطورية وثنية حتى فى أطوار حياته الفلسفية .

---

(١) راجع ص ١١٦ من كتاب (قصة الفلسفة اليونانية) .

(٢) راجع ص ٢٠ من كتاب (فلاسفة الإغريق) .

ولقد ابتدأ تفكير سقراط المستقل وتكريس حياته للفلسفة إبتداء من (سنه.٤٣ ق.م) بوجهة أسطورية يسلم بأسطوريتها بعض الباحثين الذين يمجدون الأسطورة .

فيقول فى تمجيد الأسطورة : [وكثيراً ما تكون الأسطورة أصدق من التاريخ أستغفر الله . بل : دائماً هى أصدق منه . لأنها : حياة تتجدد دماؤها . وروح خصبة تستلهمها العصور المتطاولة باستمرار] [١].

وأحب أن أشير إلى أن الاستدراك بالاستغفار في النص السابق إنما هو من (صلب النص) الذى أورده ذلك الباحث المعجب بفلاسفة الإغريق .

ولعله قد تأثر كثيراً بمعايشة الفلسفة والفلاسفة الإغريق .. حتى (ألف) الأسطورة . فأنس إلى وجودها وصارت تمده بالجوانب (الأسطورية) فى الفلسفة الإغريقية فأحس بفضلها عليه . ونالت (الأسطورة) منه هذا التمجيد الغريب ..

وهذا هو الذى جعله (يتفرد) عن الباحثين .. بذكر أسطورة عن (سقراط) . حاول أكثر الباحثين إغفالها وهى أسطورة (جنىّ سقراط) .. إعتقاداً منه أن وجود الأسطورة فى (حياة) سقراط يعلى سقراط فى نظر من يمجد الأساطير .

فبعد أن يعرض فى دراسة مقارنة : كيف أن الفلاسفة الإغريق كانوا يولون (الطبيعة الخارجة) قدراً من فلسفتهم .

يؤكد أن (سقراط) كان على : العكس من فلاسفة عصره .

فيقول : [أما سقراط فعلى العكس من ذلك لم يهتم بالمظهر الخارجى ولا الجمال الحسى أدنى اهتمام . بل انصرف انصرافاً شبه كلى إلى (الباطن) فارتفع بحياته الباطنة ارتفاعاً تاما . حتى كان كثيرا من الأحيان فى شبه ذهول لاستغراقه فى تأمل باطنى . ومثل هذا - التأمل الباطن - لم يكن متفقاً مع الروح اليونانية] .

---

(١) راجع ص ذ من مقدمة كتاب (صيف الفكر اليونانى) د / عبد الرحمن بدوى.

خصوصاً وأن هذه الحالة قد وصلت بسقراط إلى : حالة شبه مرضية . وهو ما اعتاد الناس . أن يسموه (جنيّ سقراط)[1].

أسطورة جنيّ سقراط :

يؤكد الباحثون أن (أسطورة جنيّ سقراط) تمثل أهمية كبيرة بالنسبة إلى الاتجاه العام في فلسفة سقراط ..

فما هي حكاية هذه الأسطورة (الخرافية) التي تحكمت في سقراط ..؟..

١- يرى خصوم (سقراط) : أن هذه الحالات التي عاني منها (سقراط) كانت : حالات مرضية ..

٢- ولكن تلاميذ (سقراط) لم يرق لهم تفسير الخصوم أعداء سقراط فيما ذهبوا إليه من أنها (حالة مرضية) ..

والذي يهمنا هنا الآن : أن الاختلاف في تعليل الظاهرة يدل بالتالي على : الإجماع على وجود الظاهرة .. والتي هي هنا (جنيّ سقراط) .

عرض الأسطورة :

أعطى هذه الأسطورة أهمية كبرى لأول مرة الفيلسوف الألماني (أشْلَيَرْ ماخَر) في كتابه (مؤلفات أفلاطون) :

فقد قال : إن هذا الذي يذكر عن (سقراط) ليس شيئا من الجنون .. [وإنما هو : صوت باطن . كان يأتي إلى سقراط في بعض الأحوال . فينبهه إلى الطريق الذي يجب أن يسلكه في المسائل الخطيرة التي تعرض له في حياته] .

وهو الصوت الأسطوري - كان صوت (نهي) في أغلب الأحوال أي : لم يكن صوت (أمر) وإذا ظهر مباشرة أنه (أمر) فهو في الواقع بطريقة غير مباشرة : (نهي) . وهو لا يظهر لسقراط إلا في الأحوال الخطيرة جداً التي تظهر أمامه .

فقد ظهر له خصوصاً . فيما يتعلق بالدفاع عن نفسه حين محاكمته . إذ أبى القيام بهذا الدفاع بناء على هذا (الوحي) وظهر له مرة ثانية من قبل : حين أراد أن يسلك الطريق الفلسفي . ويتصرف عن الاشتغال بالمسائل العامة .

---

(١) راجع ص ١٨ من كتاب (صيف الفكر اليوناني) .

ففى هذه الحالة أيضاً : جاء الوحى .. أو هذا الصوت الذى كان يناديه .

ويلاحظ أن هذا الصوت (الجنىّ) كان يأتى سقراط بالنسبة إلى : موضوعات مختلفة .

فكان يأتى إليه تارة : فيما يتصل بمسائل أخلاقية .

وتارة أخرى : فيما يتصل بمسائل عملية ..

ولكن هذا (الجنىّ) لم يكن يأتى إلى (سقراط) فيما يتصل بالمسائل الفلسفية الصِّرفة (١).

لأن هذا الهاتف (الجنىّ) كان مصدره : شعوراً غامضاً أقرب ما يكون إلى : اللاشعور .

وإذا كان هذا شأنه : فلا يمكن أن يكون أساساً للمعرفة الفلسفية عند : سقراط (١)..

ويمكن القول بوجه عام : إن هذا الهاتف (الجنىّ) الأسطورى كان يأتيه على صورة شعور عام لا يستطيع التعبير عنه.ولكنه قوى مُلح مع ذلك . يغمر نفسه .

وحين لا يجد - سقراط - البراهين العقلية الواضحة كان يقول : إن هذا الذى يسير عليه أو يأمر أتباعه به . إنما هو صادر عن (هاتف) أو (وحى) أوحى به إليه [١].

وهكذا يظهر لنا : كيف أن (سقراط) قد ربط نفسه بأسطورة معبد (دلفى) فصيرت حياته ولونت فلسفته .

ثم ها هو يدّعى جانباً أسطورياً خطيراً يناسب بيئته الأسطورية .. وهو (الهاتف) الجنىّ الذى يحدثه حديثا «مباشراً» ويأتيه أكثر من مرة .

ولعلنا : نلمس هنا عند (سقراط) أن (الأسطورة) تنبع من (داخله) . وأنه صانعها ومروجها بل : ويحاول أن يفلسفها .

بينما (الأسطورة) عند غيره من (الإغريق) تقتحم عليهم (دوائر) فلسفاتهم من (خارج) . وكأنها (مفروضة) عليهم ولا يستطيعون منها (فكاكاً).

---

(١) راجع ص ١٨ ومابعدها من كتاب (صيف الفكر اليونانى) د/ عبد الرحمن بدوى .

ولعل فى بيان هذا الفرق عن (الأسطورة) عند سقراط وعند غيره .. يوضح لنا مدى (تغلغل) سقراط فى (الأسطورة) لامدى تغلغل (الأسطورة) فى سقراط .. وإن صح ذلك أيضاً.

ألجنّ السقراطى والضمير :

وقد حاول بعد الذين استنكروا من (سقراط) أن (يضنع) الأسطورة أن يجدوا (تفسيراً) لأسطورة (جنّ سقراط) ففسروه بأنه (الضمير) .

وهذا تفسير خاطئ بجانب الحقيقة . بل ولم يدر بخلد (سقراط) نفسه إذ كان لكل إنسان (إغريقى) ضميره الخاص به .. فلو كان (الضمير) لما كان فى الأمر عجب أو تميّز ..

ولكن المشكلة هنا (أسطورية) رشح لفهم (جن سقراط) أسطورة كاهنة معبد دلفى.. التى وجهته لاختراع هذا (الجن) المزعوم الأسطورى .

وعموماً : فإن فكرة (الضمير) كما يصورها أصحابها [1].تفارق أسطورة (جنى سقراط) . للآتى :

أ- يدعى (سقراط) أن (الجن) كان يهتف به بخصوص الأعمال المستقبلية (علم الغيب) ويخبره عن الأشياء التى (ستحدث) فى المستقبل ..

ب- أما (الضمير) . فدوماً يتصل بالأشياء (الماضية) يحاسب صاحبه عليها فى: إطار معيار ذاتى ..

جـ- يدعى (سقراط أن (الجن) كان يهتف به موضحاً له (النتائج) التى ستنجم عن العمل الذى سيقدم عليهْ .

د- أما (الضمير) عند أصحابه . فلا يستطيع (توضيح) النتائج وإنما فقط (يحكم) عليها بالخير والشر .

---

(١) لنا موقف من فكرة الضمير . خاصة ذلك الضمير الذى ورد إلينا مع : تيار الفلسفة الحديثة فإن الإسلام لا يقر بمثل هذا النوع من الضمير الحاكم الموجه العازل لتوجيهات الوحى الخارجية .

وللأسف فإن هذا (الهاتف) الجنىّ . لم يقل مرة لسقراط عن فعل فعله : إن هذه النتيجة : حسنة أو سيئة ..!..

وإنما كان متخصصاً فى دائرة المستقبل (علم الغيب) .

وعندئذ : نستطيع أن نصف هذا الهاتف السقراطى : بأنه (كهانة) أسطورية من نوع جديد يناسب عقلية سقراط .

وهذا الهاتف الذى يمثل (الكهانة الفلسفية الأسطورية) إن صح هذا التعبير .. كان يمثل فى (أثينا) الإغريقية . رغم شيوع الأسطورة فى حاضرها وماضيها . روحاً غريبة نافرة بالنسبة إلى : الروح اليونانية الحقيقية ..

فقد ألفوا الأسطورة عن (أولمب). أو مقبلة من سحيق موروثات (التراث) الإغريقى .

ولكن الإغريق وهم : أهل العقائد الشعبية البدائية التى قامت على الأساطير.. لم يرتاحوا لهذا النوع الأسطورى الحديث . الذى بصوره (سقراط) .. بل ولم يتقبلوه .. لأن مصدر هذا (الجنىّ) الأسطورى هو : الروح الباطنية الخصبة التى كانت تسيطر على (سقراط) ..

وهذا (الجن السقراطى) يدل على مدى العلاقة الوثيقة بين (سقراط) وبين «عالم الأساطير» الملئ بالأشباح والرؤى . وإن دعوى الاتصال بهذا العالم الأسطورى هو أكثر الدعاوي الدالة على تعلق صاحبها بالأسطورة وماتوحيه من (خرافة) عن (عالم الجن) الذى يتصل بالبشر ويخاطبه ويكشف له (الغيب) .

والحقيقة : أن دعوى معرفة (الغيب) خرافة أسطورية وهى وحدها كافية فى (وصم) القائل بها بأشد أنواع (الأساطير) إيغالاً فى الخرافة .

وقد طغى (الباطن) الأسطورى عند (سقراط) على الخارج العقلى أو العقائدى الشعبى . فافترق بذلك (سقراط) وابتعد عن : الروح اليونانية .

والحق يجعلنا نقول : إن (سقراط) رغم الجانب الأسطورى الذى لاحظناه .. أسهم فى (محاورة) السوفسطائية بقوة . واستحدث لهم : منهج : التوليد .

ولذلك : فإن لسقراط . الفضل فى الكثير فى الآثار العقلية التى برزت فى

ميدان الفلسفة الإغريقية . خاصة فى الجانب الأخلاقى .. كما أنه أبرز فكرة (الغائية) فى فلسفته الطبيعية ..

ولكن (سقراط) في : الجانب الآلهى : لفته الأساطير . وحكمته الخرافة . وساهم في تأكيد الأسطـورة ولـعه بالتميز عن أقران عصره من الفلاسفة .. فقد أراد أن يتفرد بأسطورة (علم الغيب) ..

وفى ذلك يقول الباحثون: [وإن آراء - سقراط - فى الآلهيات لا تكاد تتعدّى : التصوّرات الشعبية للدين الإغريقى - الأسطورى - ممزوجة بالتقوى التى كان مصدرها خصيب الحياة الروحية عند سقراط] ..[1].

وسقراط هو الذى حاول بيان كيفية (التوصل إلى كنه طبيعة الكائنات المقدسة الأسطورية عن طريق تحليل الأسماء[2]

وهذا الحكم يعطينا : أن (سقراط) تردّى فى الجانب الآلهى فى أساطير العقيدة الشعبية الإغريقية .

ولا يعنينا فى كثير : تلمس (العلة) فى البواعث التى وجهت سقراط إلى مثل هذه (الدعاوى) الأسطورية .

----

(١) راجع ص ٤٣ من كتاب (صيف الفكر اليونانى)

(٢) راجع ص ٤٢ من كتاب (أساطير إغريقية) .

الاسطورة وافلاطون

(٤٢٧:٣٤٧ ق.م)

في بداية عام ٤٧٩ ق.م ، إنتصر الإغريق على بحرية (داريوس) وحققوا بذلك استقلالاً ذاتيا وضعوه(أساساً لأسطورة بطولية كانت بمثابة إلهام للإنجازات الضخمة التي تمت في السنوات التي أعقبت ذلك . وأثينا .. بلغت قمة ذلك الانجاز مما استحق أن توصف بأنها حملت : مجد البشرية الخالد .)[1].

ودخلت أثينا . في حرب مع (اسبرطة) في الوقت الذي ولد فيه (أفلاطون)..إذ احتلت أثينا سنه ٤٠٤ ق.م.

وكان لمعاصرة (أفلاطون) للاحتلال ونشأته في هذا الجو النفسي ورؤيته لإعدام (سقراط) سنه ٣٩٩ ق.م . الأثر العميق في النزوع نحو دراسة (الفلسفة) . وهجره للسياسة التي أهلته لها أسرته (الارستقراطية) .

وقد تتلمذ أفلاطون لسقراط منذ صباه .. وأخذ عنه الكثير من الأفكار التي أثرت فيه وفي فلسفته .

وبعد (سقراط) قام بعدة رحلات بالشرق والغرب . وزار (مصر) وقابل أساتذة جامعة (عين شمس) القديمة . وفي (إيطاليا) تعرف على (الفيثاغورية) . وأخذ عنهم كل تعاليمهم [2]

وقد لوحظت (الفيثاغورية) منسابة في خلايا فلسفة أفلاطون[3] إذ وجد أستاذه(سقراط) يحفل بالفيثاغورية[4] [ومما لاريب فيه أنه كان لمبادئ الفيثاغوريه تأثير على أفلاطون .][5]

---

(١) راجع ص٧٨ من ك (فلاسفة الاغريق) .

(٢)راجع ص ٥٠ من (في الفلسفة الاسلامية) د/ عوض الله حجازي.

(٣)راجع ص١٣٧ من ك (قصة الفلسفه اليونانية)

(٤) راجع ص٧٥ من ك(أفلاطون) د/عبد الرحمن بدوى.

(٥)راجع ص١٩ من ك (فلاسفة الاغريق) .

وأنشأ (أفلاطون) الأكاديمية . وظل يعلم بها زهاء أربعين عاماً وظلت مزدهرة حتى أغلقها الامبراطور(جوستينيان) سنه ٥٢٩ م .

وقد صاغ (أفلاطون) كتبه في أسلوب (الحوار)إلا القليل . وقد اتخذ (سقراط)بطلا لمحاوراته . عدا محاورة (النواميس) .

وقد اختار (أفلاطون) منهج (الحوار) إنطلاقاً من فلسفته والتي حدد فيها الجانب المعرفي على أنه (التذكر).

فعنده : أن المعرفه (كامنة) في النفس البشرية وتحتاج إلى من يستخرجها من الإنسان .. وليس ثمة طريق سوى (الحوار) ...

علاقة المحاورات بالأسطورة :

وقد حفلت (محاورات) أفلاطون بالتاريخ والفن في أسلوبه الأخاذ الذي كان يعّول (أفلاطون) عليه في الحوار وكثيرا ماكان [يلجأ الى التصوير الخيالى غير المنطقى] (١)

وعدا ذلك : فلا يعنيه أن تأتي (المحاورة) مجافية للعقل أو الوقائع التاريخية (فأفلاطون لاينقل لنا في (المحاورات) الأحاديث التي كانت تدور بين : المتحاورين نقلاً اميناً.

كما أنه كان لايهتم بتنسيقها وربط الأفكار فيها ربطاً محكماً يجعل منها وحدة (منطقية) متماسكة ..

فقلّما نجد فى (المحاورات) : إنسجاماً في الأفكار . أو تسلسلاً في الرأي .

وكثيراً : ماتنتقل (المحاورات) من موضوع إلى آخر . إنتقالاً قديدخل السأم في نفس القارئ .

والمحاورات : لاتخلو أيضا من الإشارات التي يناقض بعضها بعضاً . بل هناك : أخطاء تاريخية في كثير من المحاورات .

ففي (أفلاطون) : يلتقى الفيلسوف والشاعر والكاتب القصصي المسرحى والكوميدي في حيز واحد . .

إن(أفلاطون) يمزج الشعر بالفلسفة بالعلم بالفن بالأسطورة مزجاً يُسكر .. وفيه : عذوبة ولذة .. فالفن يسيطر عند أفلاطون على : المنطق والحياة متقدمة على المنهج

ماذا أقول ...؟ ..

حتى (الأسطورة) تشغل مكاناً هاماً في (المحاورات) فهي سمة بارزة من سمات تفكير أفلاطون . إذ هو لايعني ببسط المذهب بقدر عنايته ببعث الشعور بالحياة وبخلق جو ملائم يسمو فيه الخيال الشعري. الأسطوري - ...

---

(١) راجع ص .١١ من ك (أفلاطون) د/ عبد الرحمن بدوي .

ولن نفهم فلسفة أفلاطون الإعلى هذا الأساس ..][1]

وقدعرضت هذا النص بسطوره ، لأدلل على بروز الاسطورة عند أفلاطون .. حتى أن المعجبين بفلسفة الاغريق لم يستطيعوا إغفال هذا الجانب .

ونجده هنا : يجعل التناول (الأسطورى) مفتاح فلسفة أفلاطون . الذي يقول عنه(إن أفلاطون هو الفلسفة اليونانية كلها . إذ تلتقى فيه عناصرها ..فنحن نجد لديه: العنصر العقلى والعنصر العلمى والرياضى.. العنصر الديني الإلّهي .. وأخيراً : العنصر الأسطوري ..

وقد زاوج أفلاطون بين هذه العناصر جميعاً. وجدّدها تجديداً عظيماً رائعاً وأضفى عليها من أصالته وعبقريته الساحقة ماجعل منها فلسفة تطاول الزمن وتنازع الخلود . ! ..] [1]

أسطورة التناسخ بفلسفته :

نوهنا إلى أن الاغريق (أغرقوا) فى أسطوره (تناسخ الارواح)

ونؤكد هنا : أن (أفلاطون) قد أقام فلسفته على دعامتين :

أ - نظرية «المعرفة» .   (ب) نظرية «المثل » .

وهاتان الدعامتان : قامتا على أسطوره (التناسخ) .. فسرت (الاسطورة) من التناسخ إلى : فلسفة أفلاطون ..

ففي المعرفة : الروح عند أفلاطون (قديمة) هبطت لتحل في جسد إثر كدورة ..وبالموت تتناسخ في جسد آخر ..

وهي لاتعرف جديداً . وإنما هي (تتذكر) فقط ..

أما نظرية المثل:فهي عالم أسطوري لاوجود له في الحقيقة ولافى الفلسفة

---

(١) راجع ص٥٩ ومابعدها من ك (من الفلسفه اليونانيه إلى الفلسفه الإسلامية) د /محمد عبد الرحمن مرحبا .

(٢)راجع ص١١٧ من المرجع السابق .

وإنما هو موجود ذهني . شأنه شأن أي وجود (أسطوري) . أو (خرافي) ..

يقول أفلاطون في محاورة (طيماوس): [إن النفوس جميعاً كانت في الأصل ذكوراً . لكنها تتدهور خلال التناسخ حسب الحياة التي تحياها على هذه الأرض. فإن ابتعدت عن التمسك بالعقل. ولدت في جسم إمرأة ثم في جسم حيوان .. ولاتزال تنتقل من حيوان آخر . حتى تطهر من أدناسها . وتعود إلى الكواكب التي صدرت عنه .

وهذه النفس الإنسانية - المتناسخة- هي : مقر المثل ومصدر المعرفة ..].

وفي محاورة (الجمهورية) يدلل (أفلاطون) على : الثواب والعقاب للنفوس إثر محاكمتها بعد الموت بدليل أسطوري :

إذ يسوق أفلاطون(أسطورة إر بن أرمينيوس البامفيلي)(Er Le Pamphylien.)[1]

وتحكي هذه الأسطورة أن(إر) عاد إلى هذه الحياة الدنيا مرة ثانية بعدما أدركه الموت فحدّث الناس بما شاهده في الحياة الأخروية من : ثواب عادل للأخيار ومن عقاب قاس للأشرار [وكيف يعيش أورفيوس . وثاموراي . وإياس. وأجاممنون . وأودوسيوس . وغيرهم ..][2]

ويصف الباحثون (أفلاطون) بتحكم (المثولوجيا) في فلسفته الإلّهية إذ عندما سئل عن : علاقة (مثال المثل]) الأفلاطوني بالإله الأعلى ..؟

لم يستطع أفلاطون أن يرد رداً يستقيم مع العقل ..

وفي هذا يقول أحد الباحثين : [وهنا نجد أفلاطون يتعثر في إجاباته فلاتتضح فكرته : اتضاحاً تاماً ، لأنه يستعمل في الجواب طريقة ميثولوجية][3] والميثولوجيا : هى الأسطورة. .

----

(١) راجع تفصيل الإسطورة في(محاورة الجمهورية) لوحة٦١٧/٦١٨ من ك (جمهورية أفلاطون)ص ٣٨٧ ترجمه الدكتور فؤاد زكريا نشر دار الكاتب العربي للطباعة .

(٢) راجع ٣٢ من ك (أساطير إغريقية) .

(٣) راجع ص٦٣ من ك (في الفلسفة الإسلامية)د/ عوض الله حجازي .

أسطورة أفلاطون الإلّهى

وقدعرف (أفلاطون) عند بعض أصحاب المقالات بأنه .أفلاطون الإلّهي) وقيل عنه بسبب هذا الوصف إنه (موحد)[1]

ولم يدر (أصحاب المقالات) أنه وصف(بالإلّهي) لعلّة (أسطورية) تباعد بينه وبين (التوحيد) ..

فقد ولد أفلاطون . وأشباح (أسطورة مولده) تطارده . وتؤجج فيه التعلق بعالم الأساطير الخرافي

فقد تفتحت عينا أفلاطون وكل من حوله يحاول: [أن ينسبوه إلى الآلهة . وهم من أجل هذا يقولون : إنه ولد (أرسطون) . وأرسطون هذا . يرجع في ختام الأصلاب إلى : الإلّه « بوزيتون» إلّه البحر)[2]

وهكذا رأينا أن الجوانب الأسطورية كانت تهدهد(مهد)أفلاطون منذ طفولته..وأن وصفة بالإلّهي هو تأكيد نسبته الأسطورية إلى (جده) إلّه البحر الاسطوري ..

فالإلّهي هنا : وصف أسطوري. لاوصف : توحيدي .

الأسطورة وفلسفة أفلاطون:

يؤكد الكثير من الباحثين على : أن الفلسفة الإغريقية تعج بالأساطير .. خاصة : فلسفة أفلاطون . .

يقول أحد الباحثين : [إذا اتجهنا الى الفلسفة . فسوف نجد أنفسنا في مجال شاسع . وطريق متعرج . ملئ بالمتاهات. وزاخر بالأفكار والتأملات .. لكن : مهمتنا هنا : تجعلنا نعبر بسرعة فائقة ذلك المجال الفلسفي - لأنه يبحث في الأسطورة عند الشعراء - وبالرغم من ذلك نجد أنفسنا في نفس الوقت مضطرين إلى : وقفة قصيرة عند مؤلفات واحد من أشهر المفكرين الأغريق . والذي يعتبر واحداً من أعظم روّاد الفكر في الشرق والمغرب وهو : أفلاطون ...]

----

(١) راجع ص٩٤ ج٢ من ك (الملل والنحل) للشهرستاني .

(٢)راجع ص ٧١ من ك (أفلاطون) د/ عبد الرحمن بدوي .

وهكذا لايستطيع الباحثون أن يغضوا البصر عن (الأسطورة) عند أفلاطون . لأنها (تعلن) عن وجودها الأسطورى بين ثنايا فلسفته .

ويعد أن يعدد الباحثون : تعدّد الجوانب الفلسفية التي اشتهر بها (أفلاطون) وأنه لم يترك(فرعاً) من فروع المعرفة دون أن يتعرض له . يصفونه (بالأسطورة).
ويسبب ذلك جاءت (محاورات) أفلاطون مشحونة بالأساطير ويقول بعد ذلك الباحثون: [وبالطبع لم تخل هذه الموسوعة - الأفلاطونية - من الأساطير الإغريقية .

فقد ضمّن (أفلاطون) عدداً ضخماً من الأساطير الاغريقية في محاوراته الشهيرة .

فمثلا: يلتقي سقراط - وهو لسان المحاورات عند أفلاطون- و(فايد روس). فيروى الأول - سقراط . لمحدثه : [أسطوره الجنادب].[1] والتي تقول :

عندما وجدت «الموسيات» وظهر (الشعر) لأول مرة . واستولى حُبّ الشعر على بعض أفراد البشر. فظلوا يغنون . وينشدون طول الوقت . غير عابئين بالجوع أو العطش .. حتى ذبل عودهم . فماتوا ...

وعندئذ :حولتهم (الموسيات) من بشر إلى (جنادب) . ومنذ ذلك الحين أصبح الجندب يقضى حياته مغنياً . لايشعر بالجوع أو العطش .

وعندما يموت أحد (الجنادب) فإنه يذهب إلى(الموسيات) فى السماء ويخبرهن بأسماء من (يبجلوهن) على وجه الارض . ...

وفي محاورة أخرى - محاورة بروتاجوراس- يستشهد أفلاطون بإحدى أساطير الخلق الأغريقية .. كيف طلب «زيوس» كبير الآلّهة من (بروميثيوس) وأخيه (أبيميثيوس) أن : يخلقا البشر على وجه الارض . وأن يمنحاهم: صفات بشرية مناسبة ....

ثم يشير أفلاطون إلى نفس الأسطورة في محاورة (جورجياس) ويزيد : كيف

---

(١)الجنادب : جمع [جندب] وهونوع من الحشرات . يشبه (الجراد) ،ويسكن المزارع الخضراء .

أن الموتى يحاسبون وهم يرتدون ملابسهم بينما كان القضاة الذين يحاسبونهم أيضاً يرتدون ملابسهم .

ثم يشرح - أفلاطون في الأسطورة ـ كيف جعل (زيوس) بناء على طلب من إلّه العالم السفلي (بلوتو) : الموتى والقضاة يتجردون من ملابسهم أثناء الحساب.

وكيف عيّن (زيوس) ثلاثة من أبنائه : قضاة يحاسبون الموتى وهم: مينوس. وراد أمانثوس من أسيا . وأياكوس من أوربا] [١]

و(جمهورية أفلاطون) بجانب ماتمثله في جانب (اليوتوبيا) . والمدن الفاضلة فإنها تعتبر (سجلاً) يحفل بالأساطير الاغريقية والتي اعتمدها أفلاطون في بناء هيكل فلسفته .

١- أسطوره موزايوس [٢] وابنه اللذان يجزلان العطاء على (العادلين) . [٣]

٢ - أسطورة (خروسيس) كاهن الإّله (أبولّو) .. التي يوردها (أفلاطون) ويعقب عليها بقوله : [إن الشعر والأساطير قد يكونان في بعض الأحيان للمحاكاة فقط وقد يكونان (سرداً) يرويه الشاعر .. وقد يكونان (مزيجاً) من السرد والمحاكاة وهو الذي يتمثل في (الملاحم) .] [٤]

٣ - أسطورة الكهف :

وتتحدث عن رجال تحت الارض ويسكنون (كهفا) ..تطل فتحته على النور . مقيدين بالأغلال في الظلمة ..

وهذه الأسطورة عنده: توضح الدرجات التي تكون عليها طبيعة الإنسان [٥] .

---

(١) راجع ص٣١ ومابعدهامن ك (أساطير إغريقية) .

(٢) (موزايوس) وابنه (يومولبس) . شخصيتان أسطوريتان نسبت اليهما أشعار تعرض فيها (الديانه الأروفية) .

(٣) راجع ص٤٨ من ك [جمهورية أفلاطون).

(٤) راجع ص٨٧ من المرجع السابق.

(٥) راجع ص٢٤٦ لوحه رقم ٥١٤ من (جمهورية أفلاطون) .

٤ -أسطورة صورة النفس : .وفيها يورد أفلاطون أن النفس الانسانية مشابهة لتلك المخلوقات الأسطورية الشوهاء التي جاءت في أساطير الأولين مثل: (خيميرا) أو (سولا) و(سريبورس) . وهي المخلوقات التي قيل إنها : كانت تجمع في جسم واحد أشكالاً متعددة .

والخميرا(Chimera) . كائن أسطوري ينفث النار . وتجمع جسمه بين : صورة الأسد والأفعى والماعز .

والسولا(. Scylla) عند هوميروس . وحش بحري ينبح كالكلب له : إثنا عشر قدماً . وست رقاب على كل منها رأس قبيحة ، بها ثلاث صفوف من الأسنان الحادة .

والسيريبورس(.Cerdbrus) كلب ذو ثلاث رؤوس له شعر ثعبان . ويقف حارساً على العالم الادنى (الارض) .

ويقول أفلاطون: [يقال فعلاً إنه كانت هناك كائنات كهذه ..] [١]

ونجد من الباحثين من يصف(أفلاطون) بأنه وفلسفته الأسطورية قد أمدت المذاهب الباطلة بعناطر أسطورية .[وأثرت نظرياته في الوجود وفي المثل ونظريته في (الكهف) - كلها أساطير لانظريات بالمنهج العلمي- أكبر تأثير في آراء الصوفية - الحلولية - ..وكان أفلاطون في الحقيقة:يونانياً خالصاً . ووثنياً كبيراً.] [٢]

ومعلوم أن(الوثنية) إنما تقوم على . الأساطير) الخرافية فكل (وثني) يكون: أسطوريّ الفكر والعقيدة .

وهذا منهج للحكم : يصلح لكل زمان ومكان .

وقد أجمع الباحثون على أن ماكتبه (أفلاطون) في محيط فلسفته كان مضمخاً بالأساطير الخيالية ..بل.ولم يكن(أفلاطون) في كثير من الأحيان يحاول ستر هذه النزعة الأسطورية في فلسفته .. بل نجده .يستدل كثيرا ..ويقتبس من

---

(١) راجع ص٣٥٣ لوحة ٥٨٧ من ك (جمهورية أفلاطون) .

(٢) المرجع ص١٦٦ ج١ من ص (نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام) د/ على سامي النشار .

الأساطير مايؤكد أو يشرح أو يقيم أو يدعم عليها فكرته أو فلسفته . ونظرة واحدة إلى (محاورات) أفلاطون ، تخرجنا بقناعة تؤكد : أن الاسطورة الفلسفية : أفلاطونيه الوجود والنزعة .

ويؤكد أحد الباحثين هذه النزعة عند أفلاطون . فيصفه بقوله:[وأظهر شئ في أسلوب أفلاطون أنه: أسلوب خيالي - أسطوري فهو لايشرح فكرته بوضوح وبطريقة علمية مباشرة . ولكنه يشرحه عن طريق : الاستعارات والأساطير والقصص، وهي طريقه جميلة . ولكنها مربكة .. فكثيراً مايتردد الباحث : هل هو يريد المعنى الحقيقي لكلامه..؟ .. أم أنه يرمي إلى معنى آخر ...

وقد جاء هذا لأفلاطون من قِبَلِ أنه : فيلسوف شاعر. واجتماع الفلسفة. والشاعرية خطر..] [١]

وقد أورد أحد الباحثين أن هذه (الخطورة) قد أوقعت (أفلاطون) في شئ من التعارض فقد تشكك أفلاطون في قيمة (الفنطاسيا) : المخيّلة ..لأنها عنده : مصدر الوهم ..[ولكنه مالبث أن عاد في محاورة (طيماوس) . Timaeus. إلى أن اعترف للخيال بالقدرة على استحضار الرؤية الصوفية(!) . تلك التي تسمو على مايتناوله مجرد العقل .) [٢]

ومكانة(الخيال) عند (أفلاطون)إنما ترتبت في فلسفته إنطلاقاً من شعوره بسيطرة قوى(الأسطورة)..واستعداده للرؤية الصوفية التي لاتعتمد على : العقل أو المنطق وإنما هي : (عرفان) أسطوري يمتح من الجوانب الاسطورية المموّهة بالغموض الخيالي .

وينقد الباحثون فلسفة أفلاطون التي وصلت على هذا النحو الأسطوري في صورة (نظريات) فيقول:[إن المُثُلُ لاتفسر نفسها بنفسها..فلم تثبت إذن فلسفة أفلاطون أمام هذا الاختبار: فلاهي فسرت لنا العالم . ولاهي فسرت لنا نفسها .

فكان على تلميذه (أرسطو)أن يقوم هذا الاعوجاج ويصلح هذا الخطأ الذي وقع

---

(١) راجع ص١٤٣ ومابعدها من ك (قصة الفلسفة اليونانية) .

(٢)راجع ص١١من ك (الخيال).(مفهوماته ووظائفه)للدكتور/عاطف جوده نصر نشر هيئة الكتاب سنه ١٩٨٤ .

فيه أستاذه أفلاطون..] [١]

فقد سرى(الخطأ) المنهجي في فلسفة (أفلاطون) بسبب اعتماده على (الأساطير) وغيرها..

فقد ظهر في مؤلفات أفلاطون [الأسلوب الرمزي والصور الخيالية . فكثيراً مايلجأ في عرض أفكاره إلى: الرمز والقصة الأسطورية . لكي يصور بالرمز مالاينال بالبرهان . ولكي يصور الغيبيات على وجه الاحتمال ..] [٢]

وكان (أفلاطون)يحفل بالأساطير وبغيرها ويشرحها بما يؤكد فيها الجانب الأسطوري ..

فبعد أن عرض أفلاطون أسطورة[تانتالوس] الذي يعيش في (الخلود)منذ بدء الخليقة وإلى اليوم .. ولكن معيشته محفوفة بالعذاب لأنه : ظمآن والماء من حوله زلال . جوعان والطعام بين يديه ناضج . خائف والأمان مكفول له ..تداعب الثمار الحلوة عينيه ولا يتمكن من أن يذوقها . تميل الصخرة الضخمة فوق رأسه ولاتصيبه بسوء ومازال [تانتالوس] يعيش على الأمل ..

إنه واحد من : المعذبين في الأرض .. ومن السعداء الذين يعيشون على الأمل المخادع ..[٣]

وقد اشتهرت أسطورة (تانتالوس) . حتى أصبحت تبريراً لنشأة عقيدة هامة من عقائد الإغريق وهي [توارث اللعنة][٤]

وقد شرح (الفلاسفة الطبيعيون) هذه الأسطورة من وجهة نظرهم التي تعتقد : أن كل الأساطير الاغريقية تنتمي إلى (الشمس) .

وعوداً لأفلاطون الذي يعقب على (أسطوره تانتالوس) فيقول شارحاً: [إن الاسم تانتالوس. مشتق من صفة مبالغة التفضيل ، وهي كلمة إغريقية - بمعنى «الأتعس» . والإسم وماشتق منه بمعنى(التحمّل) أو(المعاناة) .] .[٥]

----

(١)راجع ص٢١١ من ك (قصة الفلسفة اليونانية) .

(٢)تراجع ص٢٣٧من ك(دراسات في الفلسفة)د/صلاح عبد العليم نشر مطبعة مدني. سنة ١٩٨١القاهرة .

(٣)راجع الأسطورة بالتفصيل ص١١٣ الي ص١٢٤ من ك(أساطير إغريقية) .

(٤) وفكره (توارث اللعنة) في حد ذاتها(أسطورة) .

(٥) راجع هامش ص١٢٦ من ك (أساطير إغريقية) .

الأسطورة منهج أفلاطون :

بينا كيف أن (الأسطورية) تسرى في فلسفة (أفلاطون) سريان الماء في العود الأخضر ..

وأعتقد أن هذا يكفينا في بحثنا عن وجود(الأسطورة) في (الفكر الاغريقي) بصفة عامة . وعند (الشوامخ)بصفة خاصة .

وتصورى أنني لو توقفت عند هذا الحّد في رفقتنا لأفلاطون . ماكان ذلك خروجاً عن (منهج) . أو عزوفاً عن إكمال ..

ولكنني :ماكنت لأستطيع مغادره رفقة (أفلاطون) دون أن أسجل عليه هنا(رأياً) لبعض الباحثين المعجبين بالإغريق وأفلاطون بالذات . فهو لهذا الحب الإغريقي غير (متهم)في إثبات (الأسطورة) عند أفلاطون .. [1]

ولكن الأخطر هنا : أن الباحث يذهب شوطاً بعيداً في ربط أفلاطون بالأساطير.

فيؤكد في دراسة تحليلية (علاقة فلسفة أفلاطون بالأسطورة)..

فيوضح أن الأسطورة لم تفرض على (أفلاطون) كواقع إغريقي عاشه أفلاطون ولم يستطع منه فكاكاً .

بل إن معقد الدهشة أن (أفلاطون) هو الذي كان يسعى إلى (الأساطير) ليروّى بها فلسفته . ويغذي منها أفكاره ..

وإن (أفلاطون) يحفل بالأسطورة كمنقذ له في كثير من آرائه الفلسفية التي كان يصطدم بها أثناء تفلسفه . أو تعرض له أثناء (حواره) في (الأكاديمية) الفلسفية ..

فالأسطورة بهذا الوجود : تعتبر (جزءاً) من الفلسفة الأفلاطونية ..لأنها أساس أهم نظرياته (الفلسفية) ..

ولاأبالغ فأقول :إن الأسطورة كانت نسيج (كلّ) فلسفته بل هي نسيج (بعض)

---

(١) راجع التفصيل من ص١٢٦ إلى ص١٣١ من ك (أفلاطون) د/ عبد الرحمن بدوي .

فلسفته . وقد خرج هذا البعض في صورة الجانب(الطبيعي) في فلسفة أفلاطون .

وبذلك: تكون الأسطورة بصدق :هي قوام فلسفة أفلاطون عدا: العلم الطبيعي.

وإذا كان أخطر مافي فلسفة (أفلاطون) هي (نظرية المثل) . فقد صورها أفلاطون : تصويراً أسطورياً . سواء فيما يتصل بماهيتها . أو بصلتها بعضها ببعض . أو بصلتها بالمحسوسات.[لأن أفلاطون كان متأثراً بعض التأثر- بالجانب الأسطوري- في الدين الشعبي الاغريقي.][1]

وتحت عنوان(الأسطورة) يحدثنا . فيقول : [إذا كان القول أو(اللوغوس) يمكن أن يكون محتملاً[2] . فمعنى هذا أيضاً : أن ماهو محتمل يمكن أن يكون قولاً . أو (لوغوس) .

ومن هنا : نستطيع أن نفهم (وظيفة) الأسطورة بسهولة. فإن (الاحتمال) هو: منطقة التلاقي أو الجامع المشترك بين : اللوغوس وبين: الأسطورة . أو بين : الحقيقه وبين الخيال . « الصورة المقلوبة للحقيقة»

ولقد كان أفلاطون في هذه المرة أيضا(!) غير مخلص للمبدأ اليوناني الأصلي. وهو : مبدأ الموضوعية . الذي كان يقضي دائما بألاَّ ينظر الانسان الى الأشياء إلا بالنظرة العقلية الخالصة .] .

ويعرض لنا الدكتور عبد الرحمن بدوي محاولات الكثير من المؤرخين والباحثين الذين أرادوا أن يفسروا (ماهية الأسطورة) أو (وظيفتها) في(فلسفة) أفلاطون .

١ - يرى (فكتور بروشار) الفرنسي في كتابه (الأساطير في فلسفة أفلاطون) والذي حاول فيه أن (ينقذ)المبدأ الأفلاطوني القائل : إن المعلومات يجب أن تكون مجردة عن (الخيال والحسيّات) .

---

(١)راجع ص١٦٩ من ك (أفلاطون) .

(٢) أي يخضع لنظرية (الاحتمال) التي ترد على كل النظريات العلمية . على أساس: أن العلم لايعرف الكلمه الأخيرة .. وقد سبق المسلمون بمعرفة (الاحتمال) فكان: علماء الاسلام يختمون كتبهم ودروسهم وفتاواهم بأصدق تعبيرعن(نظريه الاحتمال) وهو (والله أعلم).. وتعريف القول عن متكلمي الاسلام: مايحتمل الصدق والكذب لذاته .. راجع (نظرية الاحتمال) ص ١٨٠ من ك دكتورة منى طريف الخولي .

فيقول : لما كانت فلسفة أفلاطون تنقسم الى قسمين:

أ- قسم يتعلق بالوجود الثابت . أو(الماهيات) ..

ب - وقسم يتعلق بالتغير أو(الصيرورة) .

فإن (العلم) عند (أفلاطون)كذلك ينقسم إلى قسمين :

أ - قسم يقابل (الماهيات) وهو :العلم الحقيقي .

ب - وقسم يقابل (التغيّر). وهو :الظن .

والأسطوره تدخل في باب (الظن) . فالفكر الاسطوري أوالتصوير الأسطوري إذن : يؤدي الى الظن .

وعلى هذا يجب أن يفرق الباحث في فلسفة أفلاطون بين هذين النوعين فيطرح الظن الملئ بالأسطورة . ويستبقى الجزء الخاص بالماهيات الخالى من الأسطورة . .

ويعقب (فكتور بروشار) .V . brochard على تقسيمه للثابت والمتغير الأسطوري عند (أفلاطون) فيقول : [بيد أن الملاحظ أننا إذا فعلنا هذا - طرح الأساطير عند أفلاطون - فقد أخرجنا **الكثير جداً** من المذاهب الرئيسية الأفلاطونية . وأبقينا على جزء ضئيل جداً منها ..

وذلك: لأن أفلاطون لايستخدم(الأسطورة) في بعض المسائل البسيطة وحدها.. بل : أيضاً : يستخدمها في المسائل الكبرى من فلسفتة] . الآلهة الأفلاطونية

ويؤكد (ڤكتور بروشار) . أن أفلاطون يتحدث عن(الآلهه) حديثاً أسطورياً كله . إذ (الآلهة) عند أفلاطون : تابعة للتغير .

وأفلاطون حين يتحدث عن (الصانع) يتحدث عنه حديث الأساطير . كما يميل الى ذلك (تسلر(Teslaer الذي يقول : [ان فكره الصانع في طيماوس: فكرة أسطورية غامضة][1] .

٢ - ويرى (ڤلترڤيلى) PH. Pheily الألماني.في كتابه (بحث في أساس الأساطير الأفلاطونية): إن الأسطورة تبدأ من الصورة التي نراها عليها في(جورجياس)

---

(١) راجع ص١٦٨ من ك (أفلاطون) .

و(الجمهورية) لكي ترتفع إلى أعلى صورة في (المأدبة) .

فيجب أن يقال : إن هناك في الطرف الآخر : محاولة من العقل لكي يخضع الأسطورة لمنهجه .!..

وعليه عند (فيلي) نكون أمام محاولتين عند أفلاطون :

أ - محاولة للتعقل .

ب - محاولة لصياغة الأشياء في صورة (أسطورية) .

ويقول : (فكأن العقل عند أفلاطون إذن ينشد الأسطورة . وكأن الأسطورة بدورها تنشد العقل ...

أي: أن العقل والأسطورة عنده - أفلاطون - متضامنان وليس في الإمكان الفصل بينهما .] .

وإذا كان (ڤلترڤيلي) يرى أن الفصل بين: العقل والأسطورة مستحيل في فلسفة (أفلاطون).

فإننا نجد في المقابل من يؤكد على ضرورة الفصل بين جوانب فلسفته الأسطورية وفلسفته العقلية .

٣ - ويرى :(تيشلمر Chilemar) الألماني في كتابه (المسألة الأفلاطونية) أن (إفلاطون) كان يلجأ إلى الأسطورة لكي يسهل الفهم بالنسبة لهؤلاء الذين لايستطيعون تصور الأشياء تصوراً مجرداً . أي: أن أفلاطون كان (يضطر) إلى أن يقدم الأشياء في ثياب (أسطورية) . حتى تكون مفهومة لدي الناس. (١)

إذ (الأسطورة) هي الثوب الحسّي التجسيمي للأشياء العقلية النظرية المجردة .

وقد تابعه الفرنسي(كوتيرا) . Cuoturat في كتابه (الأساطير الاغريقية) في هذا الرأي .

---

(١) معلوم أن أفلاطون كان يرى أن الفلسفة إنما يجب أن توجه إلى الخاصة جداً ذوى العقول الممتازة .. وقد كتب على (الاكاديمية) (إذا لم تكن مهندساً فلاتدخل) .. راجع ص.١٤ من ك (قصه الفلسفه اليونانية) .فكيف يتفق هذا (التعليل) مع منهج أفلاطون .

وقد خطأ أحد الباحثين كلاً من (كوتيرا) و(تيشلمر): حيث قرر: أن هذا التفسير لايستقيم لدى النقاد . لأن فلسفة أفلاطون نفسه تأباه فيقول: [والخطأ في هذا الرأى هو : أن مايقوله أفلاطون أسطورياً . ليس بعينه ماقاله حيناً آخر نظرياً مجرداً..

وإنما الواقع : أن أفلاطون يلجأ الى الأسطورة في الحالة التي يرتفع فيها فوق الفكر المجرد. وفي الحالة التي يشعر فيها العقل بأنه : عاجز عن أن يدرك بوسائله هو:مايسعي للوصل اليه .](١) .

٤ – ذهب الفيلسوف الألماني(هيجل)Heigele وتابعه(تسلر)المؤرخ . إلى أن أفلاطون كان (يلجأ) إلى الأسطورة . في الحالة التي كان يشعر فيها بتراخي عقله . وضعفه عن التفكير . .

ولما كانت هذا كما يقال (عذر أقبح من ذنب).فإننا نجد من المدافعين عن أفلاطون مثل (إستيفانيني) (L.Stefanini) الذي يحاول تعليل فكرة (تراخي) العقل وضعف التفكير عند أفلاطون فيقول :[إن هذه الحالة ليست حالة تراخ وهبوط ذهني وإنما هي « الحالة العليا» التي تفوق العقل. والتي لايستطيع الإنسان فيها.أن يدرك الأشياء . إلاعلى شكل لمع ولمحات .

ومامثل أفلاطون في هذه الحالة إلاكمثل : هؤلاء الصوفية من المسيحيين في العصور الوسطى حين يتحدثون عن (الليلة الظلماء المقدسة) .

فهو – أفلاطون– حين يصل الى درجة الأسطورة يكون في الحالة التي ليس فيها إشراق (إلّهي) . ينير المسائل العظيمة الرئيسية ..

فلايجد–أفلاطون– أمامه غير الأسطورة للتعبيرعن نفسه في هذه الحالة..](٢)

وهكذا يحاول (استفانيني) دفع السيطرة الأسطورية عن عقل وفلسفة أفلاطون ويرفض دعوى: التراخي العقلي .

---

(١) راجع ص١٣٨ من كتاب(أفلاطون) للدكتور عبد الرحمن بدوي .

(٢)وقد حاول أحد الباحثين أن يجعل للأسطورة منطقاً .فقال : [إن منطق الأسطورة هو: اللامنطق.فهي وسط بين : الحلم واليقظة وتشبه : [أحلام اليقظة] راجع ص١١٥من ك (الأساطير) .

ولكنّ (استفانيني) يلجأ كأستاذه أفلاطون الى خلق جوّ الأسطورة في دفاعه..فيصور لنا (حالة) أسطورية خرافية هي التي ترقى عن: العقل ويتلاشى فيها الإشراق ..

والحق : أنه عند تلاشى العقل والإشراق ..فلن يجد الانسان سوى (الاسطورة) تأخذ بعنقه في (ظلمات) عقله وقلبه المتباعد عن منهج (وحي) الله تعالى.. فيتخبط في(باطل) الأسطورة وهويحسب أنه يقيم مذهباً . أوينشئ (فلسفة)..

علاقة الأسطورة بالقول عند أفلاطون :

إذا كنا قد تحدثنا عن علاقة(اللوغوس) بنظرية (الاحتمال) فإننا هنا نريد أن ندوّن : علاقة(اللوغوس) بالأسطورة .فيما يأتي:

أ - قد تكون الصلة بين الأسطورة و(اللوغوس) أى : القول : أن: الأسطورة تستعمل (مقدمة) للوغوس..

ب - وقد تكون الصلة : أن الاسطورة (خاتمة المطاف) للوغوس. أي :أن الأسطورة هي (غاية) أفلاطون من مقولته .

ج - وقد تكون الصلة (متشابكة) فتوضح الأسطورة المقولة . وتوضح المقولة الأسطورة ..

ونجد من يجزم بصدق: [أن أفلاطون يلجأ إلى الأسطورة في المسائل الرئيسية الكبرى التي لايستطيع أن يصل بعقله اليها ..][1]

الأسطورة وتعليل الصور(المثل) .

عندما حاول(أفلاطون) أن يذكر فكرته عن (علة الصور) جاءت فكرة غامضة كل الغموض. لعجزه عن توضيح :

أ- كيف وجدت الأشياء بطريق المشاركة في الصور..؟

ب - وما العلة التي سببت هذه المشاركة .. ؟ .

---

(١) راجع ص ١٣٠ من المرجع السابق .

ج - وماهو الشئ الذي جمع بين : الصور والمادة . فتكون المزيج الموجود. ؟ .

ويؤكد أحد الباحثين أن هذا الغموض في فلسفة أفلاطون ينحل . عندما نعلم[أن هذا الجزء - العلية في الصور- يدخل فيه الشئ الكثير ممايتتسب الى ميدان الأسطورة .. لأن أفلاطون لم يستطع أن يدلى فيه بكلام عقلى خالص .. وهنا : فكرة (الصانع) الأفلاطونية. وهي فكرة أسطورية بحتة . فلاتفسر مطلقا هذه المهمة . مهمة : علّيه الصور..وإذا بحثنا في كيفية اتحاد الصور والمحسوسات. وجدنا أن كلام أفلاطون هنا : كلام أسطوري . إذ هو يستخدم لبيان أن هذه العلاقة فكرة مجازية وهي : فكرة المشاركة ..][1]

ولعلنا: نكون قد تكوّن لدينا الآن: قناعةُ بوجود الأسطورة في فلسفة (أفلاطون) ..أحد شوامخ الفلسفة الاغريقية.

وأن (الاسطورة) عند أفلاطون كانت : سماءه وأرضه . وعقله . وعاطفته . وتاريخه . وفلسفته .

----

(١) راجع ص ١٧٧ ومابعدها من المرجع السابق .

الأسطورة وارسطو

(٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م)

ولد (أرسطوطاليس) في مدينة (أسطاجيرا) Stajire وكانت مستعمرة يونانية على بحر(إيجة) . وأسرته عريقة في العمل بالطب.

وكان والده (نيقوماخوس) . طبيباً للملك أمينتاس الثاني . (Amyhtas.11) ملك (مقدونية). وهو : (جدّ) الاسكندر الأكبر[1] .

وقد زامل (فيليبوس) والد الاسكندر . فتوقفت صلته بالبلاط المقدوني ..

وعندما بلغ عمرهُ ثمانية عشرعاما . إلتحق بأكاديمية (أفلاطون) في أثينا . وظهرت عليه مخايل النجابة . وامتاز على أقرانه. فقربه (الأفلاطون)وسماه (القرّاء)وأيضا كان يسميه (العقل)..لأشتهار أرسطو: بكثرة القراءة وغلبة الذكاء الخارق عليه .

وظل أرسطو ملازماً للأكاديمية طوال (عشرين عاماً) حتى توفى أفلاطون . فرحل عن(أثينا) إلى مدينه أسوس Assos وأميرها صديقه (هرمياس) . Hermeias وزميله في (الأكاديمية) وتزوج ابنته(بيثياس)Pythias . وغادرها بعد اغتيال (هرمياس إلى مدينة (ميتيلين)Mytileme . ولما ماتت زوجته تزوج (هربيليس)Herpyllis فأنجب منها ولده (نيقوماخوس) وإليه أهدى كتابه(الأخلاق) .

وقد استُقدم أرسطو ليتولى تعليم الاسكندر الأكبر. وعمره ثلاث عشرة سنة وخاطب(فيليبوس)أرسطو قائلاً:[لم أفرح بشئ كفرحي بولادة الاسكندر في زمانك.] .

وعاد أرسطو الى أثينا مرة أخرى بعد تولى الاسكندر(الملك) بعد اغتيال أبيه

---

(١) وكان الاسكندر الأكبر معجباً بالأساطير خاصة ماكان عند (هوميروس) في الإلياذة وقد سيطرت الاسطورة على عقله في الحياة لدرجة أنه عندما [بني الاسكندر المقدوني الاسكندرية . كان يريد لها أن تجئ على غرار (طروادة) حتى لقد قال رامزاً الى ذلك: إن هوميروس سيكون هو مهندس مدينتي] . راجع ص٨ من ك (مقدونيه) د/ جمال الدين سيد محمد . نشر هيئة الكتاب سنه ١٩٨٧ .

ولكنه لم ينضم للأكاديمية رغم ازدهارها . فقد قرر أن ينشئ مدرسة فلسفية خاصة به بمساعدة الاسكندر الاكبر . واختار للمدرسة حديقة جميلة خاصة بأبوللون لوقيوس(إلّه الرعاة) عند الإغريق (Apollolyceus . وعرفت مدرسته باسم (اللوقيين) .وعرف مع تلاميذه باسم (المشائين).Pepateticiehs.

واضطر (أرسطو)الى مغاردة أثينا بعد احتلالها .. وفرّ هارباً إلى مدينة (خلقيس)Chalcis ومات بها وعمره ثلاثة وستون عاماً .[1]

ويذكر أحد الباحثين أن أرسطو هو إبن (نيقوماخوس)فيقول :[وقد يكون من دواعي اختيار (فيليب)لأرسطو. أن:نيقوماخوس أبا أرسطو كان طبيباً .في هذا البلاط في عهد أمنتاس..][2]

وذكر الشهرستاني عنواناً يقول:[رأى أرسطو طاليس بن نيقوماخوس][3]

المدرسة المشائية في عصر أرسطو:

لم تكن طريقة(أرسطو) في المدرسة (اللوقية) قائمة على (الحوار) في الغالب. بل كانت تلجأ إلى : منهج الخطابة والشعر لعامة الناس ..

وكانت(المشائية) تدرس للخاصة في الصباح: المسائل الفلسفية العالية . فإنها في المساء كانت تعلم : فن الخطابة والشعر لعامة الناس ..

وكان يساعد أرسطو في إدارة المدرسة: أذيموس . وثاوفرسطس.

منهج المدرسة :

كان الاتجاه الأصلي للمشائية في عصر أرسطو: الميل إلى: الأبحاث العلمية الصرفة. فقد تأثر ارسطو بالمدارس العلمية الطبية والفلكية وانعكس ذلك على فلسفته بصورة عامة .

---

(١)راجع التفصيل ص١٥١ من ك (من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الاسلامية) .

(٢)راجع ص٢٩ من ك (أرسطو)د/عبدالرحمن بدوي. نشر مكتبه النهضة المصرية سنة ١٩٤٣

(٣)راجع ص١٢٨ ج٢ من ك (الملل والنحل)نشر الأنجلو سنة ١٩٥٦م

وكان جميع أساتذة (المشائية) من غير أبناء (أثينا) . أما التلاميذ فقد كانوا خليطا.

وكان[المنهج الذي .. تسيرعليه منهجاً تعليمياً منظماً . مبتعداً عن الأفلاطونية].[1]

طابع الفلسفة الأرسطية :

نقلت فلسفة أرسطو وكتبه كلها الى اللسان العربى .خلال ترجمات متعددة . كما نقلت شروح تلامذته .»[2]. ووصف بالإلحاد لإنكاره علم الله تعالى بالجزئيات.[3]وقوله بمتحرك لايتحرك ولايحرك. واعتقاده في فكرة تسيير العالم فجعل منها (إلّها) أشد تأثيراً . وهي(العشق). [فالآله معشوق- سلبي- يحرك العقول من حيث هو موضوع شوقها وحبها . ويحرك السماء الأولى على أن لها نفساً ، وهكذا فحركة الكل على سبيل الشوق - وشوق الأفراد إلى: المبدأ الأول هو أصل النظام الطبيعي(!) - فلاعين من الأعيان الا وهو مشغوف بحبه . ساع إلى الاتصال بمبدئه حتى يلتحق به . فهذا الشوق هو سبب ترقى الموجودات من طور الى طور..] [4]

وكان أرسطو واسع المعرفة بفروع العلم .فكان(أعلم)أهل عصره عدا(الرياضيات).

وألف في المنطق وعلم الحيوان والفن والبلاغة والفلك والظواهر الجوية.

وانتقد أستاذه(أفلاطون) كثيراً.. لدرجة أنه قد [نشأ بحث أرسطو فيما بعد الطبيعة من تحليله لنظرية أفلاطون في المثل. وبيان مافيها من أخطاء..][5] وكان (أرسطو) أقل تعرضاً للخطأ من أفلاطون وإن كان انتهى مثله إلى ردّ العالم

---

(١) راجع ص٣٥ من المرجع السابق .

(٢) راجع ص٦٦ ج١ من ك (نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام) د/علي سامي النشار

(٣) راجع ص ١٦٧ ج٢ من المرجع السابق .

(٤)راجع ص٢٨٨ ومابعدها من ك (دراسات في الفلسفة) د/صلاح عبد العليم .

(٥) راجع منهج أرسطو في الإبطال وأدلته ص.٢٢ ومابعدها.من ك (قصة الفلسفة اليونانية).

لفكرة (ثنائية) أفلاطون . وبذلك [أقام أرسطو فلسفته على أساس من أفلاطون]. [1]

وقدكان أرسطو رغم نقده .. عقلاً إغريقياً قوياً استطاع بقوة عقله أن يستخرج المنطق في قواعده المنظمة.وقدم فلسفة عقلية مؤصلة علي مناهج العقل داخلها الكثير من الابتكار[2] . وكادت تكمل على يديه (الفلسفة الطبيعية) ..

ولكن مشكلة(أرسطو) كغيره من الفلاسفة ..أنه خاض غمار الجانب الآلهي . بقواعده العقلية الفلسفية. فضاع منهجه أو ضيعه منهجه .. وفلسفته .

فإنه إذا كان الميدان (الميتافيزيقي) له منهجه الخاص به فإن الجانب الإلهي بمافيه.. لايمكن أن يدرك الا بفيض الوحي الإلّهي .

ومن هنا : كانت (عثرات) أرسطو في فلسفته الواقعية المنطقية والتي كانت[فلسفة منطقية طويلة النفس. كل شئ فيها يجرى في دقة باردة ويدور على منوال التجربة ..] [3]

وقد حفظت (الترجمات) العربية فلسفة أرسطو فلم ينل منها التأثير الأفلاطوني بالتغيير والتبديل كما حدث لكتبه باللغة الإغريقية

وقد اعتمدت أوربا على (أرسطو العربى) . [واستطاع الشرق في القرون التالية . أن يصبح معلماً لأوربا التي لم يكن فيها استمرار لتقاليد عمليه لم تتغير نسبياً . والذي تلقته أوربا كان العلم الهيليني- الاغريقي- في صورة عربية. موسعة بعض التوسع. ثم النصوص الأصلية القديمة في ترجمة عربية مثل: كتب أرسطو الحقيقي. لاكتبه المغيّره تحت تأثير أفلاطوني جديد..][4]

وليس هذا استطراداً : إنما هو تقرير لدعوى تهمنا هنا وهي: أن العرب فهموا فلسفة أرسطو حقيقة. وأن الدعوى المعاصرة التي تنادى بأن المسلمين لم يفهموا الاغريق .. وأن من يريد أن يقف على الفلسفة الاغريقية لابد أن يتعلم (اليونانية) القديمة حتى يستطيع أن يقف على(التراث الاغريقي) : دعوى باطلة.

----

(١)راجع ص ٢٦٦ من المرجع السابق.

(٢)راجع ص ٢٤ من ك(دروس في تاريخ الفلسفة)

(٣) راجع ص١٥٦ من ك (من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الاسلامية)٠

(٤)راجع ص١٧من ك (التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية)دكتور/ عبدالرحمن بدوي .

وأصحاب هذه الدعوى ..يقصدون . أن يتحولوا الى (كهنوت) يحجر على الفلسفة الاغريقية . ويشل العقول العربية عن (نقد) الاغريق..كما- بالتالي- يلقي في البحر بكل نقد للفلسفة الاغريقية[1] .

وهذا تعصب (عرقي) تأباه طبيعة الأمور .. وقد قصدنا منه أن نعتمد على هذا التوثيق ..لنلقي الضوء على الجوانب(الاسطورية) عند (أرسطو) ..

فقد ظهر لنا : أن أرسطو رغم فلسفته (الواقعية).فإنه قد وقع فى حبائل (الأسطورة) مثله في ذلك مثل كل فلاسفة الإغريق ..

ولكن الملاحظ : أن الأسطورة لم تكن (فوأحة) الظهور ..بل كانت مغلقة . بما تملكه .أرسطو) من قوة العبارة. ونظام المنطق ..

---

(١) ولو أحسنا الظن بأصحاب هذه الدعوى فإننا قد نرى في تلك الدعوى .. أنها: محاولة لستر(معايب). الفلسفة الاغريقية.. التي يعتبرونها(جناح) الاستعلاء. على غير» الاغريق».

الأسطورة عند أرسطو :

إن الباحث ليجد عناءً في نسبة (الأسطورة) إلى مثل(أرسطو) الذي سبقت شهرته . وطبقت الآفاق بأنه فيلسوف (الواقعية) . والمنطق الصارم المنظم ...

وذلك : لأن البعض درج على تكريم عمالقة الفكر لدرجة قد تصدف عن الحق أحياناً ..

لكن(الحق) في حد ذاته هو (مقياس) معرفة الرجال . وتجاوز هذا المنهج (آفة) في (القابل) كما قرر (الغزالي)[1] .

ومن هنا : سأحاول أن أتلمس (الأسطورة) المستورة عند أرسطو. والتي خلطها بفلسفته العقلية . ومزجها بمنطقه مزجاً جعل(الأسطورة) تكمن في مذهبه . وقد توارت في حجب فلسفته وارتدت أقنعة البراعة الأرسطية ..

والحقيقة :أننا لانستطيع أن نقرر هنا :

هل تعمد أرسطو أن يتخد من الأسطورة دعامة لكثير من فلسفاته ..؟..

أم أن(الأسطورة) قد تسللت إلى فلسفته في خفية تأثراً بالتراث الشعبي الإغريقي ..؟..

رغم أننا نجد(مظان) هنا وهنا ..تجذب هل(الترديد)الى مستقرها من طرف (خفي) ..

وفي الجانب الأسطوري لم يكن أرسطو(موسعاً) لها في فلسفته بطريق مباشر. فقد وصف بأنه [أشبه بشخص في كامل وعيه وسط حشد من السكارى..][2] رغم أن أرسطو كان [يغيّر من آرائه أحياناً.] [3] .

وإذا كان [أرسطو) قد استطاع أن يقيم الجانب الطبيعى فـي فلسفتـه علـى

---

(١) راجع ص٤٦ من ك(المنقذ من الضلال) تحقيق د/عبد الحليم محمد الانجلو.

(٢) راجع ص٤٥ من ك (فلاسفة الاغريق) تأليف؛ريكس وورنر ترجمه/ عبد الحميد سليم .

(٣) راجع ص١٣٥ من المرجع السابق .

منهج (العقل)..فإننا نجد من يخبرنا: أن الأسطورة نشأت مواكبة للعلم الطبيعي باعتبارها (التفسير) لمظهر الطبيعة . [1]

وهذا يجعلنا:أكثر تقديراً لأرسطو..في شعوره القلق بالأسطورة ومحاولة تجنبها.. ولكن : أنّى له ذلك ..!..

١- عندما تعرض(أرسطو) فى كتابه (الأخلاق إلى نيقوماخوس) لتعريف (العادة). نجده يلجأ إلى الأسطورة . ليوثق بها فكرته وليستدل بمؤدى الخرافة فيها إلى مايبغى عرضه من فلسفة ..

يقول أرسطو: [وعندما نقول عن الأطفال إنهم سعداء . فهذا ثناء لما يتوعدهم في المستقبل ..والسعادة تتطلب أمرين :

أ - صلاحاً تاماً .

ب - حياة كاملة .

لأنه يحدث الكثير من التقلبات والتغيرات بمختلف أنواعها في معترك الحياة.ومن الممكن أن يواجه أكثر الرجال رخاء . أعظم النكبات في سنوات انهياره كالقصة - الأسطورة - التي تروي عن (برايم) Priam في سير الأبطال . ولكن لايوصف إنسان بأنه سعيد إذا واجهته محن كالتي واجهت (برايم) . وكانت نهايته نهاية بائسة..] [2] .

ونجد من يشرح لنا أسطورة(برايم) التي لاقت إعجاب أرسطو فاستغلها في نسيج فكرته. فيقول : [تذكر الأسطورة الاغريقية أن (برايم) كان آخر ملك من ملوك (طروادة). Troy التي حاصرها الاغريق طوال عشر سنوات . وكان مصير (برايم) أن ذبح اثناء حصار المدينة . ووضع في جوال..] [3] .

٢- ونجد أرسطو يذكر لنا في (الأخلاق إلى نيقوماخوس) أسطورة(تعدّد)الآلهة

---

(١) راجع التفصيل ص٤٢ من ك(أساطير إغريقية).

(٢) راجع ص١٥٩ من ك(فلاسفة الاغريق)

(٣)راجع هامش ص١٥٩ من المرجع السابق.

الإغريقية الاسطورية فيقول: [مادمنا نقول عن الآلهة أنهم مباركون وسعداء . فإن عبارة (مباركون) هي أيضا العبارة التي نصف بها الأشخاص الذين هم أكثر شبها بالآلهة.] .[1] ولعله يقصد(الكهنوت) للدين الشعبي الإغريقي،
٣ - ويعلى (أرسطو) في منعطف يدعو للعجب وعنده بالذات شأن (الصدفة) ويرتب عليها بعض آرائه . بل يعتبرها جزءاً من (الطبيعة).

فيقول:[.. وفي حالات فيها تمهد المصادفة لترابط مثل هذا .. كما لو كان قد رتب عن قصد . فإن الكائنات التي شكلت بصورة ملائمة عن طريق الصدفة عاشت واستمرت تموت كمايقول أمبدوكليز- في أسطورته- عن: ثيرانه ذات الوجوه الآدمية] [2]

ويقدم لرأيه بفكرة أسطورية يقول فيها:[إن الطبيعة تفعل كما يفعل (زيوس). تسقط المطر. لا ليجعل القمح ينمو . بل ينمو بالضرورة .. ومن ثم لابد أن يسقط. وعندما يحدث هذا مصادفة ينمو القمح..] [3]
٤ - لم يفرق(أرسطو) بين: الخرافة والأسطورة .في عصر كان يحاول أن يفرق بينهما بفارق بسيط هو: أن الأسطورة خرافة لها صلة بالدين والعقائد الإغريقية.. أما (الخرافة) فقد تكون مجرد حكايتة أسطورية لاعلاقة لها بالدين والعقيدة..

ولكن هذه التفرقة لم تستطع أن تكون(فسيلة) في عقول الفلاسفة والنقاد..فكان(الالتحام) بين الخرافة والاسطورة يبدو منهجاً في العرض.
ويقول أحد الباحثين:[وفي ضوء هذا الالتحام - الذي يحتمل الفصل- يمكن أن نفهم .

لماذا لم يفرق أرسطو بين الخرافة والأسطورة..؟..

بل ربما فهم من كثير مما ردّده في كتابه(فن الشعر) أنهما شئ واحد. لاسيما عندما يستبدل بهما (الحكاية).

فالحكاية - القصة - أو الأسطورة- وكلتاهما تتألف من أفعال - هي :مضمون الشعر. أو: موضوعه ...

----

(١) راجع ص ١٦٤ من المرجع السابق (٢) راجع ص ١٧٠ .
(٣)راجع ص١٦٩من المرجع السابق .

فوحدة(الخرافة) - عند أرسطو- لاتنشأ عن كون موضوعها شخصا واحداً كهرقل الأسطوري .]..

ويقفز أرسطو قفزة هائلة في مجال الأسطورة فيؤكد ربما لأول مرة في الفكر الإغريقي أن [الشاعر يجب أن يكون صانع: حكايات وخرافات اكثر منه صانع أشعار .. ويجب أن تؤلف (الخرافة)بحيث تكون(درامية) . وتدور حول فعل واحد تام كله . ولاتكون مشابهة للقصص التاريخية ..] [١]

وهكذا نجد أنفسنا : أمام (محاولة) لتقنين أو تقعيد أسس منهجية للخرافة والأسطورة .

ويتجلى لنا ذلك عندما نجد أرسطو يجعل(الخرافة) عنصراً عاماً في (الشعر) الذي عرفه بأنه: هو الذي يكوّن ويربي وجدان الأمة الاغريقية بجانب الفلسفة التي تربى عقلها ..

وكأن أرسطو بذلك :يرى أن (الخرافة) يجب أن تكوّن الثقافة الوجدانية الإغريقية ..

وهذا الاستظهار ليس من قبيل المبالغة فإننا نجد أرسطو يؤكد في كتابه (فن الشعر) على أنه[لابدّ لكل شعر من أن يتكون من ستة أجزاء - لا أكثر ولا أقل - وهي :

١- (الخرافة)[٢]. ٢ - (العادة). ٣-(الاعتقاد).

٤ - (المقولة). ٥-(اللحن). ٦-(النظر) .

وبيان أرسطو لهذه الأجزاء غير دقيق وغير مفصل.ولكن الظاهر أن الخرافة تجمع الأحاديث المختلفة المكونة للفعل الفاضل الذي يحكي في الشعر..] [٣]

---

(١) راجع ص٦٧من ك(الأساطير)د/ احمد كمال زكى. نشرمكتبه الشباب سنه ١٩٧٥القاهره .

(٢) يذكر من حقق الكتاب عند ورود الخرافة هامشا يقول : [أي: أسطورة . ولكن يستخدم ابن رشد لفظ (الخرافة). ولايستخدم لفظ (القصة) فلذلك أفضل أن أتابعه في استخدام هذا المصطلح بعينه .راجع هامش ص٤٢ من كتاب(تلخيص كتاب الشعر) لابن رشد.

(٣) راجع ص ٣٢ مقدمة ك (تلخيص كتاب الشعر) لابن رشد تحقيق الدكتور تشارلس بتروورث والدكتور احمد عبد المجيد هريدي. نشر هيئة الكتاب بالقاهرة سنة ١٩٨٧م .

ويؤكد الفيلسوف (إبن رشد) نظرة أرسطو في الخرافة . فيلخص فكرته ويقول:[قال- يقصد أرسطو- : وقد يجب أن تكون أجزاء صناعة المديح ستة : الأقاويل الخرافية والعادات والوزن والنظر واللحن ..

ثم يقول أرسطو: وأجزاء القول الخرافي من جهة ماهو محاك . جزءان .وذلك : أن كل(محاكاة) .

أ- فإما أن يوطئ لمحاكاته بمحاكاة ضده .ثم ينتقل منه إلى محاكاته . وهو: الذي يعرف عندهم بالإدارة ..

ب - وإما أن يحاكي الشئ نفسه دون أن يعرض لمحاكاة ضده . وهو : الذي كانوا يسمونه بالاستدلال .

والذي يتنزل من هذه الأجزاء . منزلة : المبدأ . والرأس . هو: القول الخرافي المحاكي.] [١]

ويعوّل أرسطو كثيراً على سوق (الأسطورة) في قالب الحقيقة. إذ لاينبغي - عنده- أن تساق ومعها مايشير إلى أسطوريتها أو حتي(رمزيتها) .

يقول أرسطو:[وينبغي أن تكون الخرافة المخيفة المحزنة مخرجها مخرج مايقع تحت البصر. يريد: من وقوع التصديق بها لأنه إذا كانت الخرافة مشكوكاً فيها(!). أو : أخرجت مخرج مشكوك فيها. لم تفعل الفعل المقصود بها. وذلك : أن مالايصدقه المرء. فهو لايفزع منه ولايشفق عليه..] [٢]

ولايرد علينا أن مانذكره عن (أرسطو) في مجال الأسطورة في الشعر . مفارق لغاية البحث في (الفلسفة الإغريقية)..

فإنه يتلاحظ : أن أرسطو في هذا المنشط .. يحاول جاهداً أن يقحم الأسطورة في الشعر بمنهج الفكر والتفريع الفلسفي.

وهذا وحده يدلنا على أن (أرسطو) لم يفرق بين (الشعر) وبين (الفلسفة)

---

(١) راجع ص ٦٩ ومابعده من ك(تلخيص كتاب الشعر) لابن رشد .

(٢) راجع ص٨٦ من المرجع السابق .

بنفس التفرقة الحادة التي نعايشها في عصرنا الحديث ..

فقد يدرك الباحث هنا وهو يتصفح كتاب(فن الشعر) لأرسطو.. أنه أقام كتاباً في المنطق الموضوعي .. أو في الفلسفة ..

ويعقب بعض الباحثين على فكرة أرسطو الأسطورية في الشعر . فيقول: [ولعلنا نخلص من أقوال أرسطو إلى الحقيقتين التاليتين :

أ- إلى أن القدماء لم يفصلوا بين الأسطورة والحكاية الخرافية .

ب - وإلى أن كلا منهما - الأسطورة والخرافة- بعيد عن التاريخ المحقق .

وإذن: يصبح المجال أمام (الراوية)اكثر اتساعاً للابداع أو للتغيير أو التحريف. بحيث يمكن القول: إنه أوجد حكاية أو أسطورة جديدة ..][1]

ولعلنا الآن أدركنا أن (أرسطو) يحفل بالأسطورة ويدرك خطرها في الفكر الإغريقي.. ويحاول أن يوصلها على منهجه الفلسفي ويجعل للأسطورة(وظيفة) وجدانية ..

٥- عرف أرسطو (الأسطورة) التي قامت عليها(الملاحم) الإغريقية . والتي يطلق عليها(المأساة اليونانية) .

فقد أورد أن كلا من:[المأساة والملهاة نشأت عن الديثورامبوس..تكريماً للإلّه (ديونوسوس)...ويعلق (باي ووتر).BYWATER . على نص أرسطو هذا بقوله: «إن المعلم الأول كان يعرف أكثر مما ورد في قوله ..»][2]

وقد عرف(أرسطو) المأساة اليونانية ..وقد استمدت منذ نشأتها كل (موضوعاتها) من: الأساطير والخرافات التي ورثها اليونان عن أسلافهم..[فقد أدرك الشعراء كما أدرك أرسطو: أن : المأساه يجب ان تتناول شخصيات بارزة وحوادث هامة . ويجب أن تكون ذات معنى مثير. لكي تستولى على مسامع

---

(١) راجع ص ٦٧ من ك(الأساطير) .

(٢) راجع ص٤٤ من ك (المأساة اليونانية) د/محمد صقر خفاجة ود/عبد المعطي شعراوي .

الحاضرين . ولايتحقق ذلك . إلا إذا تناولت موضوعات مستمدة من الأساطير ..
فكان الإغريقي يتخذ من تلك الأساطير إطاراً يعرض فيه روايته .. ليقنعوا بها
الشعب الأثيني ..] [(١)]

ويؤكد (أرسطو) مذهبه في الأسطورة الشعرية عندما قارن (المأساة)بغيرها من الفنون عند الاغريق وخلص من تلك المقارنة إلى فكرته التي تقول:[وعلى ذلك: فالشعر اكثر فلسفة وأسمى مكانة من التاريخ . لأن الشعر يعبِّر - عند أرسطو- عن ظاهرة عامة . بينما يقص التاريخ وقائع شخصية .] [(٢)]

وإذا كانت النزعة الاغريقية الأسطورية قد سرت في الشعر . فإنها امتدت الى(الفلسفة الاغريقية). وذلك عندما (تأثرت الفلسفة بأساطير تراجيديا اليونان.] [(٣)]

وقد عاش فلاسفة اليونان تحت وطأة العقيدة الشعبية التي ملئت بالأساطير. حتي وجدنا أن:[الفيلسوف الإغريقي الذي لم يؤمن بأساطير الإغريق- ونادراً ماهم- مثل: إنكساغوراس- اتهموه بالإلحاد..] [(٤)]

ولاشك أن (أرسطو) كان يعيش عصره بكل الأبعاد . فقد جاءت فلسفته معبرة عن هذه المعايشة حتي لقبت (بالواقعية) .لقربها من وجدان وحياة الاغريق المعاصرين يه . بل: وتفاعلها مع البيئة الاغريقية بمافيها من عقيدة بدائية شعْبية وشعرية وأساطير ..

ولانريد أن نكرر أن أرسطو كان يستطيع أن يفرق بين الأسطورة وبين الفلسفة.. ولكنه كان أكثر الفلاسفة الإغريق(حذراً) في قبول الأسطورة .. وأكثرهم تأثرا بالبيئة الاغريقية .

---

(١) راجع ص ٦٢ من المرجع السابق .
(٢) راجع ص٧١ من المرجع السابق.
(٣) راجع ص١٩٤ من ك(المأساة اليونانية)
(٤) راجع ص ٩ من ك[دروس في تاريخ الفلسفة) .

٦- رغم البناء العقلي الشامخ في فلسفة أرسطو. فقد تفلتت منه بعض العبارات التي (توحي) بمدى قبوله للأسطورة المستترة في فلسفته .

أ- ففي مجال الفلسفة الطبيعية نجده يفسّر الأجرام السماوية تفسيراً أسطورياً يتسق مع ماعليه الدين الإغريقي الأسطوري . فيقول:[إن الاجسام السماوية أجسام آلهية.. وأن هذه الاجسام لها عقول أرقي من عقل الإنسان..].[1]

وهو لايقصد على وجه القطع بوصفه للاجسام السماوية بأنها (إلهية) أنها: أجرام مخلوقة لله تعالى..وأن الوصف وصف نسبة المخلوق للخالق سبحانه وتعالى..

ويرشح لهذا التصور عقديتنا نحن المسلمين . ودعوى البعض أن أرسطو(موحد)يقول بإلّه واحد..!..

والحقيقة أن أرسطو لايقول بإلّه واحد. وإنما يقول بمحرك سلبي العشق أرسطو أكثر إيجابية من إلّهه هذا.. ويصرح - كما أشرنا من قبل- بأن(زيوس)هو (الإلّه الواحد) فوق(الآلّهة)

ولعل هذا يوضح لنا لماذا ورد عن (أرسطو) أنه كان يتكلم عن (الإله) مرة بصيغة المفرد. وأخرى بصيغة (الجمع).. وهو بذلك: يصدر عن عقيدة الإغريق الوثنية الأسطورية ..

وقد بان الآن: أن(إله) أرسطو لايمكن أن يكون في تصور أرسطو(خالقاً). لأنه (فصل) بينه وبين(العالم) في (ثنائية) مضطربة . قادته في كثير من الأحيان إلى مشكلات فلسفية جعلت الكثير من الباحثين يضع(أرسطو) ضمن الفلاسفة الذين يقولون بأسطورة (الحلول) الهندسية القديمة . والتي وجدت عند الإغريق ..

وننقل هنا عن الباحثين قولهم[وفي تعاليم أرسطو مايشعر بمذهب الحلول . وهو المذهب القائل : بأن الله حالّ في كل شئ . وأن كل شئ مظهر له .فإن فلسفة أرسطو تقول : إن كل شئ في العالم يسعى لتحقيق العقل وله حظ منه .والعقل

---

(١) راجع ص٢٤٣ من ك (قصة الفلسفة اليونانية).

الكامل هو(الله) ، وإن اختلفت الأشياء في مقدار حظها منه ..] [1]

ولاشك أن(الحلول) أسطورة دينية بدائية . حاول (أرسطو) أن يشيعها في فلسفته . فتلونت فلسفته: مع (الحلول) المذاب بالأسطورة ..

أرسطو وفلسفته الأسطورية :

إذا كنا قد وقفنا على بعض (المظان) أو (الاشارات) أو(الايحاءات) التي توضح أن (أرسطو) لاينحي (الأسطورة) عن فكره أوفلسفته . وإنما يحاول أن يجد لها (منهجاً)ينشده من يسير على دربه.

وهذا في الحقيقة (ترويج)للأسطورة في الفكر الانساني بصورة عامة.. وفي الفكر الاغريقي بصفه خاصة ..

وإذا كان هذا يمكن أن يكفينا في قناعة بوجود (الأسطورة) أو وجود «خيوط» أسطورية . عند أعظم فلاسفة الاغريق. وأطول(شوامخ) الفلسفة الاغريقية قامة . لأن(أرسطو) كان يشعر بعلاقة الأسطورة بالباطل والوهم.. فكان «يستحي» من إبرازها. أو «يستنكف» أن يعلن عنها في فلسفته .إن صح هذا التعبير .

ولكننا لن نقف عن هذا الحد .. وإن كان يعتبر مفنماً ممن كان بارعاً في إخفاء وستر الجوانب الأسطورية مثل (أرسطو) ..

لأننا وجدنا من الباحثين الذين نثق في سبرهم للفلسفة الاغريقية. من يؤكد في قوة وصراحة أن(أرسطو) هذا العملاق الاغريق..تردّى في(الأسطورة)متأثراً بعوامل(البيئة) الاغريقية الاسطورية . والتي أحاط بها (الدين الشعبي الاغريقي الاسطوري) . الذي روّج للأسطورة في بنيان المجتمع الاغريقى .. ولم يفرق بين: فلاسفه وخطباء . أوبين: عامة وخاصة ..

موقف الباحثين:

أولا:- يؤكد أحد الباحثين أن (أرسطو) كان يقول بأسطورة (تعدد) الآلهة عندما قال عن فلسفته :[إن للسيارات - الكواكب- حركات . ويصل في حسابها على مذهبه إلى(٥٥)أو(٤٧) فيضع مثل هذا العدد من (المحركين) الأوائل . ويصفهم

---

(١) راجع ص ٢٤٩ من المرجع السابق .

بأنهم (آلهة)الكواكب. وأنهم محركون أوائل أزليون..]

ثم يقول:[يقول أرسطو: «إن السموات تشتهي أن تحيا حياة شبيهة بحياة المحرك ماأمكن. لكنها لاتستطيع لأنها مادية فتحاكيها بالتحرك حركه متصلة دائمة هي : الحركة الدائرية.-] .

ثم يعقب على مذهب أرسطو بمايدمغه بالأسطورية فيقول: [ولكن من يتأمل هذا القول يراه: أقرب إلى الشعر والخيال منه إلى: التعليل والصحيح.][1]

بل ونجد (أرسطو) عندما أراد أن يصف إلّهه الذي توصل إليه بفكره ..إنما يصف على الحقيقة(إلهه) الاغريقي رب الأرباب الاسطوري(زيوس)..

فقد انتقد (أرسطو) الباحثون عندما قال : إن الإله لايعلم إلا ذاته وقالوا : [وأرسطو بهذا الرأي يتصور الآله منطوياً على نفسه ومقصوراً على برجه العاجي.غير عالم بشئ من الكون ولامريداً لما يجري فيه من أحداث..][2]

٢- أثناء مناقشة مشكلة(تجرّد) الفيلسوف . وأثر ذلك على فلسفته . ذهب الباحثون إلى:أن المفكر في تفكيره لايمكن أن يتجرد من (البيئة) تجرداً كاملاً ..

وعندما أراد الدكتور عوض الله حجازي . أن يشرح فكرته تلك في استحالة (التجرد) التام للفيلسوف أو المفكر من عوامل: البيئة والوراثه والمدرسة.. ضرب مثالاً بالفلسفة الاغريقية .. ورجلها القوى العملاق أرسطو الذي اشتهر بميله ودعوته الى: العقل في مناشط التفكير ..

فقال: [أمامنا الآن الفلسفة الإغريقية تاريخها ورجالها . فللنظر إذن مدى صدق: قضية التجرد على ضوئها . وإذا استعرضنا هؤلاء الفلاسفة . لوجدنا في القمة (أرسطو طاليس). ذلك الفيلسوف الذي حقق كيان الفلسفة اليونانية..]

ثم يقول :[فلننظر : هل استطاع ذلك الرجل أن يفكر غير متأثر بشئ.؟.].

وبعد أن يصور القيمة العقلية للموضوعات الفلسفية عند أرسطو وأنها ارتقت به بحيث لايمكن أن نقارن أرسطو بغيره من فلاسفة الإغريق. لأنه (قمة). وهم دونه في المرتبة . يعرّج على بيان:-

---

(١) راجع ص ٧٥ من ك (في الفلسفة الاسلامية) د / عوض الله حجازي .

(٢) راجع ص ٧٦ من المرجع السابق .

عقيدة أرسطو في [الإلّه] . ويقارنها بعقيدة الإغريق الوثنية . حتى يقف على مدى التشابه بين فلسفة أرسطو وعقيدة الإغريق ...

العقيدة الإغريقية الأسطورية عند أرسطو:

ويقول:[قبل أن نبسط رأي أرسطو في الإلّه . يجب أن نلم بالعقيدة الشعبية - الأسطورية- التي كانت تسيطر على البيئة التي كان يعيش فيها أرسطو . ويعتقدها العامة من حوله .

الدين الشعبي: لم يكن ثم إلّه واحد. يدين له الجميع بعقيدته بل كانت آلهة مختلفة متفرقة في أنحاء شتى من بلاد اليونان . يدين لكل منها فريق بعبادته . ويقدم لها قرابينه.

وهذه العقيدة الشعبية من خصائصها : التعدد في الألوهية . وأن الآلهة ليست جميعها (مغيبة) .بل الكثير منها (مشاهد) . وليس بلازم أن يكون(الإلّه)ذا نفع أوضر في واقع الأمر ..].

ثم يعود باحثنا إلى: بيان رأي أرسطو في الإلّه فيقول:[إن أرسطو يراه: طريفاً جميلاً . له صورة كاملة . لانقص فيها مطلقا ولاحركة له ...] .

ويعقب على ذلك فيقول:[هذا هو إلّه أرسطو .. الذي توصل إليه بعقله بعد تفكيره الفلسفي العميق..

ولم يقل أرسطو عن(إلّهه) إنه: خالق. بل: كل تلك الصفات التي أعطاها أرسطو(لإلّهه):صفات سلبية ليست لها قوة الخلق والإبداع ... إن أرسطو كان يقتصر في تفسيره لمظاهر الكون على المشاهد فقط. ولم يكن يعترف بمغيّب وراء الطبيعة يسبغ عليها قوة التأثير والخلق والإبداع .. بل يفسر الكون بأسباب من داخله غير مغيّبة خلفه أو وراءه..

فعلى ضوء ماقرره أرسطو في الالّهه نجد أنه تأثر بالعقيده الشعبية- الأسطورية- لأنه لم يجعل إلّهه مبدعاً خالقاً .]

وقد أعطي أرسطو للإله الأسطوري: من الصفات التي وجدها لديه في:

العقيدة الشعبية الاغريقية - والتي وآها مستمدة من هذا الوجود نفسه .

[فأرسطو - بالرغم من أنه سيد فلاسفة اليونان جميعا- لم يتجرد عقله من أثر البيئة . بل كانت البيئة لها أثرها القوى الجبار في عقله وتفكيره . ولم(يتجرد) أرسطو للعقل العام.].

ويؤكد أن أرسطو خضع للعقيدة الشعبية الإغريقية الاسطورية عندما أراد أن يقدم تفسيراً لفلسفته في (الوجود).

فقد قدمنا أن أرسطو اعتبر الكواكب (إلَهه). وأنها عقول تنتهي عند العقل الأخير ..

والذي حجب أرسطو عن القول بالتأثير المباشر للإلّه .بدلاً من هذه (السلسلة) للالّهه . إنما هي(عقيدته)الشعبية الأسطورية(التعدد) وقد تأثر أرسطو بوثنية الإغريق .

ثم يقول:[وهكذا نجد أرسطو في واقع الأمر متأثراً بالعقيدة الشعبية . لقد كان أرسطو (شعلة)النبوغ الفلسفي القديم حتى لقد قيل عنه إنه: ملحد. ويعني هذا: انه لايقر بمعتقدات بيئته . وأنه يتجرد منها .. ومع ذلك:نجده متأثراً بالبيئة- الأسطورية - إلى حد أنها - البيئة - تغلب عليه في أخطر آرائه ..

فكيف نقول إذن : إن الفيلسوف هو الذي تجرد للتفكير المحض..؟..

إن الانسان يستحيل عليه تماماً أن يتجرد من عوامل البيئة في تفكيره وإن التجرد التام ضرب من المستحيل لايمكن أن يوجد أو يكون. ولكن يختلف إنسان عن آخر في مدى هذا التأثير . والانسان (أسير) البيئة والوراثه والمدرسة ..

فكيف يتجرد منها جميعاً في أحكامة وقضاياه وتفكيره..؟..

نعم : يجوز أن يتجرد ..ولكن إلى حدّ(ما) .. والذي حدث عند أرسطو أنه: تجرد ولكن :بقدر الاستطاعة .. فإن بيئته أثرت فيه[1] تأثيراً (لاشعوريا) .ظهرت صوره في آرائه وأفكاره ..].

---

(١)راجع في هذه الفكرة ص٩٨ومابعدها من ك:(في الفلسفة الاسلامية) د/عوض الله حجازي.

وبهذا الوضوح نجد من يؤيدنا فيما ذهبنا إليه من أن(أرسطو) لم يستطع أن (يتجرد) من (الأسطورة) تأثراً بالديانة الشعبية الإغريقية .

وإن كان يقرر في وضوح مالانعتقده . وماسبق أن طرحناه مترددا: أن أرسطو زحفت (الاسطورة) على فكره دون أن يدري وبطريقة (لاشعورية) ..

والذي يعنينا في هذا المضمار : أن نقرر أن(أرسطو) عرف الأسطورة . وسرت في فلسفته وتفكيره. وأنه لم يكن ذلك العقل المحصّن من الاسطورة ..

ثانيا- عندما نطالع تقييم الدكتورمحمد البهي للفلسفة الإغريقية وعلاقتها بالأسطورة المتصلة بالدين الإغريقي الوثني . وأثر هذه المؤثرات على فلسفة (أرسطو) بالذات . بل: وانتقال الفلسفة الارسطية المشائية بما فيها من جذور أسطورية بدائية . إلى: الفلسفة المشائية الاسلامية .

فبعد أن يعرض صاحب (الجانب الإلّهي) لبعض المصطلحات الفلسفية في نظرية أرسطو عن (عالم الأفلاك). وذلك كمقدمة منه لنقد الفكر الاسلامي الذي قبل الفلسفة الإغريقية بما فيها من جذور أرسطية .دون أن يلتفت إلى هذه الجذور.قدر التفاته إلى محاولة (التوفيق بين الدين والفلسفة) تقديراً منهم لدور (أرسطو) في الفكر الانساني الفلسفي..

فقد عرض الدكتور محمد البهي المصطلحات الآتية الأرسطية :

١ -(المحرك الأول) الذي لايتحرك . وهو العقل الأول في سلسلة عقول الأفلاك.

٢-(عقل الفلك) . وهو القوة المحركة علي الدوام تحريكاً غير مباشر.

٣ - (نفس الفلك) . وهي : القوة المتصلة به والمحركة له تحريكا مباشراً .

٤ - (جرم الفلك) . أو (جسمه) : وهو: الجزء المادى الأثيري في الفلك . وهو يتحرك بحركة محركه القريب الذي هو(النفس) .

ثم يقول : [وهذه الاصطلاحات الأربعة تشير الي موجودات يمكن أن تدخل تحت أنواع ثلاثة في عالم السماء :

١ - <u>النوع العقلي</u>: وهو نوع القوة المدبره المفارقة . بمافيها المحرك الأول. لأنه: عقل. أيضاً ..

٢ - <u>النوع النفسي</u>: وهو نوع القوى المدبرة المتصلة بالأجسام الفلكية .

٣ - <u>النوع الجسمي</u>: وهو النوع القابل للتدير والتحرك.

وهذه الأنواع الثلاثة: متفاوتة في منزلة الكمال..أدخلها فيه : العقل - ثم النفس . ثم الجسم .

ولكن هل وجود هذه الأنواع الثلاثة في(عالم السماء) ضرورة من ضرورات العقل والمنطق ..؟..

وهل: تفاوتها في المنزلة من: ضرورات العقل ..؟..

أم أن أصحاب : التفلسف القديم(الإغريقي) القائلين بها لم يستطيعوا التخلص من الإيمان بتنوعها وتفاوتها .كأثر باقٍ في نفوسهم من آثار عقيدتهم الشعبية الأولى الأسطورية . فكان تفلسفهم لتبرير الإيمان . وتبرير تفاوتها أمام العقل الإنساني العام ..].

ويقطع صاحب(الجانب الإلّهي) بعدما ردّد بين أسئلته : بأن (عالم الأفلاك) هو محاولة أسطورية من(أرسطو) أعظم فلاسفة الإغريق لتفسير وتبرير الأسطورة الموجودة في العقيدة الإغريقية الشعبية البدائية . وإن كان هذا (التبرير) عند(أرسطو) قد أخذ شكلا جديداً يناسب (عقليته الفلسفية) .

فيقول: [إن المحاولة الفلسفية لشرح هذه الأنواع وشرح صلاتها بعضها ببعض تنبئ عن (تبرير لاشعوري) للإيمان بشئ معين في الكون عرفه الإنسان عن طريق ديني دون ان يدركه عن طريق: العقل والمنطق .من نفسه ابتداء.

ومايذكر من(عدد) عقول الأفلاك . ونفوسها . وأجرامها. ليس أيضا: وليد المعرفة النظرية الإنسانية البحتة .

بمقدار ماهو: نتيجة لعقيدة دينية في قوى الكون . وإن بدى ذلك في صورة : عقلية إنسانية .][1]

ويؤكد الدكتور محمد البهي أن[القول بأن للأفلاك نفوساً إنما هو : أثر من آثار العقائد الشعبية الأولى(الوثنية) التي كانت تتصور في كل شئ نفساً وقوةً . ويوجد في فلسفة ديمقريط الطبيعية . لأنه يفرض في (الذرة) قوة ذاتية..][2]

ثم يعمم شيوع الأسطورة الوثنيـة فـي الفلسفة الإغريقية : من أثر العقيدة

---

(١) راجع ص٤٨٣ ومابعدها من ك (الجانب الإلّهي من التفكير الفلسفي) .

(٢) راجع هامش ص٤٢٦ من ك(الجانب الالّهي) .

الإغريقية الشعبية الأسطورية . فيقول:

إن[الفلسفة حتى في العصر الإغريقي لم تتخلص من سيطرة العقيدة - الشعبية- رغم ماكان يدعى هناك من: حرية ومن خضوع في البحث لغير سلطان العقل .

وفي القرون التي بعد هذا العصر ، وبالأخص في القرون الوسطى- زادت سيطرة الدين في التفلسف. إلى حدّ : أن كان وجود الفلسفة . وممارسة التفلسف مرهوناً ببقاء الصنعة العقلية في خدمة العقيدة فحسب].[1]

وقد جاء هذا الرأي منه : تعقيباً على نظرية (الفيض) وعلاقتها بنظرية (الوساطة) عند المسلمين ..

ويؤكد صاحب (الجانب الإلّهي) فكرته التي تقرر : أثر الأسطورة في الفلسفة الإغريقية

فيذكر وهو ينتقد فلسفة (ابن سينا) المشائية الارسطية :[أن طبيعة التفلسف في عصره - إبن سينا- وهي متصلة بطبيعة تفلسف القدامى في العصر الإغريقي- ومنهم أرسطو- إلى عصر النهضة : كانت توحى حتماً بهذا الربط.

فالإنسان المتفلسف منذ(عصر الإغريق)إلى عصر النهضة رغم أنه يدعى وبالأخص : أيام(الهيلنيين). التخلى في تفلسفه وفي عمله العقلي عن مؤثرات الدين .

فإنه: لم يتخلّ فعلا عنه - الدين الشعبي الاسطوري في العصر الاغريقي- في تفلسفه . ولم يزل(الدين) هو: الموجه الأول له -للإنسان- في عمله العقلى. إما عن طريق مباشر. أوغير مباشر.][2]

فالدين إذن : له تأثير على الإنسان المتفلسف .حسب عصره .. ولما كان(الدين)الأسطوري الوثني في العقيدة الشعبية الإغريقية الأولى هو : المسيطر على الإغريق في عصر أرسطو .. بل قبله وبعده وحتى دخول المسيحية بعدة

---

(١) راجع هامش ص٤٤٢ من المرجع السابق.
(٢) راجع ص٥٠٦ من المرجع السابق .

قرون.. والتي قامت هي الأخري على (دعائم أسطورية) من الحلول والافلوطنية المحدثة. والأقانيم وغيرها..[1]

ومن هنا: وصف بعض مؤرخي الفلسفة .وهم بعيدو النظر تلك الفلسفة عموماً وحتى (عصر النهضة) بأنها:

[تحاول مزج الدين بالمنطق ..ومزج الطبيعة بما بعدها..]

وهذا التقرير ينطبق تماماً على العصر الاغريقي .. ويظهر قوة هذا المزج في(عصر أرسطو) . الذي حاول أن يفلسف الأسطورة .علي مناهج مبتكرة..ولكنه أضر فلسفته وعرضها للنقد ورياح الزوال . .

وبذلك نجد من يؤيدنا في مقولة : تأثر الفلسفة الإغريقية وخاصة عند (أرسطو) بالأسطورة الشعبية البدائية الوثنية .

وأن(أرسطو) حاول جاهداً : أن يجعل (أساطيره) مخفية مستورة فلونّها بمنطقه وأحاطها بفلسفته..

---

(١) وقد لازمت الأسطورة الإغريق في هذا العصر.فعندما استولى(البرابرة) على (روما)سنة ٤١٠ ميلادية استولى على(العالم) ذهول عميق . بسبب اعتقاد الرومانيين. وشاركهم العالم هذا الاعتقاد (أن روما لاتقهر) وعقب نكسة الهزيمة قال الوثنيون الاغريق [إن الإلهة غضبوا على المدينه - روما- وتخلوا عن نصرتها لتهاون الرومان في الشعائر السلفية - يقصدون العقيدة الشعبية البدائية الوثنية الاسطورية - وبسبب انتشار المسيحية فى أرجاء الأمبراطورية الرومانية ..] وقد ردّ على الرومان القديس(أوغسطين) في كتاب(مدينة الله) وفرغ من تأليف سنة ٤٢٦ ميلادية ولكنه أسس الرد على (الأفلاطونية) والأسطورية .فكان متهافتاً.راجع التفصيل ص٢٧من ك(تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط)
د/يوسف كرم . نشر دار المعارف سنة ١٩٦٥.

ثالثا :- إن سيطرة(أرسطو) على: الفكر الإنساني أمرمذهل لم تستطع البشرية منه فكاكاً .. وقد(رمى) أرسطو بمنهجه العقلي بصورة قوية أصابت كبد الفلسفة. لدرجة أن[الفلسفة لم تكن لتتحلّل من المصطلحات الفلسفية التي وضعها أرسطو..] [(١)]

وهذه النتيجة كان لها بعض الآثار(السلبية) على حركة الفكر الانساني على مرّ التاريخ .

فإذا كنا قد علمنا مثلاً: أن أرسطو اعتبر(الأسطورة والخرافة)من مكوّنات(الشعر) كفن علميّ منهجي يمتدإلى وجدان الانسان

وأن مذهب أرسطو في الشعر.. سرى منه إلى عصور التاريخ وحتى العصر الحديث . حتى رثي الشعر[وقد خضعت قواعده لتلك القواعد التي وضعها أرسطو. وخاصه: عند الفرنسيين ..] [(٢)]

وإذا كان هذا هو تأثير(أرسطو) علي التفكير الانساني.. فإن (تأثر) أرسطو بمن سبقه من المفكرين ..وتأثره بالبيئة الإغريقية في الجانب الاسطوري من(المسلمات) عند الكثير من الباحثين الذين تفردوا لدراسة ألفلسفة الاغريقية ..

يقول(ييجر)·WERNER JAEGER في كتابه(أرسطو) الذي عقده لدراسة جانب(مابعد الطبيعة عند أرسطو رداً على دعوى تقول: [إن أرسطو رفض من أفلاطون الجانب الشعري جانب الأساطير والتصويرات الشعرية ..] .

فيؤكد (ييجر) بطلان هذه الدعوى بقوله:[ولكن الواقع هو:أن مؤلفات أرسطو الأولى من ناحية .. ووضعه: لنظرية الشعر من ناحية أخرى .. :يكذّبان . كل مايقال عن أرسطو من أنه لم يكن يحفل بالنواحي الشكلية .] [(٣)]

والذي يدعو للدهشة أننا نجد(أرسطو) صاحب المنطق العقلي والفلسفة الواقعية.. يتخد من بعض الجوانب(الخفية)أساساً لآراء فلسفية ..فهو يوسع جانبا هاماً لأحد(الأحلام) .

----

(١) راجع ص ٦ من ك(أرسطو) للدكتور عبد الرحمن بدوي.

ونحن هنا لاندين « الأحلام » بأنها جوانب أسطورية..بل إن منها ماهو (أضغاث أحلام) وماهو(رؤيا) قد تحقق . والرؤيا الصادقة [جزء من أربعين جزء من النبوة ..] .

ولكنني هنا فقط : ألفت النظر إلى مثل(أرسطو) في هذا المضمار عندما يتأثر بالأحلام ..وتظل ظلالها معه فترة طويلة زمنية ..ممالايحدث عادة بين عامة الناس. أو الفلاسفة ..

أما أن يتحدث (أرسطو) عن (حلم) صديقه الذي أثر فيه بقوة واتخذه أساساً لاحدى (محاوراته) .. فهذا هو الطريف من (أرسطو) .

إذ يشير إلى مدى : استعداده الروحي لتقبل الصور من عالم (غامض).. رغم أنه وفلسفته . كانا يؤكدان: أن العقل والمنطق والبحث والنظر .. هو: قوام المنهج الأرسطي..

ويعرض أحد الباحثين هذا فيقول:[وكان - أوذيموس- قد رآى حلماً عندما كان منفياً من وطنه . وفي هذه (الرؤيا) : خيّل إليه
أولاً : أن الطاغية الذي نفاه من وطنه سيموت بعد مدة .

وثانياً : أنه بعدخمس سنوات سيرجع إلى وطنه ..

وقد تحققت : النبوءة الأولى. وبقى أن تتحقق الثانية . وقد تحققت بصورة(معاكسة) . فقد لقى(أذيموس) حتفه بعدخمس سنوات بالدقة ..

فاتخذ (أرسطو) من هذا (الحلم) موضوعاً لهذه (المحاورة) التي سماها باسم بطلها(أذيموس) ، وحاول أن يجعلها على: غرار محاورة (فيدون) .. إذ نجد مشابهه كبيرة جداً بين مايرد فيها . ومايرد في محاورة (فيدون) .
فنجده : يحاول أن يثبت (خلود النفس) عن طريق (التذكر)[1].. وفي هذا كله : نرى(أرسطو) قد تأثر كل التأثر بأفلاطون..][2]

---

(١) التذكر فكره قامت على عقيده (التناسخ) الأسطورية. وهى فكره(أسطورية) في الجانب المعرفي .

(٢) راجع ص٢٤ من ك(أرسطو) دكتور عبد الرحمن بدوي .

والذي استوقفني هنا هو: إبراز مدى التشابه بين أرسطو وأفلاطون في الجانب الروحي المفعم بالجوانب الاسطورية ..

وإن محاورة(فيدون) الأفلاطونية ..محاورة أسطورية وقلدها: أرسطو في محاورة (أذيموس) .

رابعاً-وضحنا الجانب الأسطوري في نظرية المثل عند أفلاطون وأن (الصور) المثالية . كائنات (أسطورية) في الفلسفه الأفلاطونية ..

وهنا نشير الى أن (أرسطو) قد قال بالصورة الأفلاطونية المثالية الأسطورية .. وهذا يجعله (أسطوري) القول بالصورة .

ويعرض الدكتور عبد الرحمن بدوي تحليله بعد عرضه لمنهج أرسطو في العلاقة بين (الهيولى والصورة) . فيقول:[فأرسطو يقول أيضا- يقصد مثل أفلاطون - : بالصور. وهو- أرسطو- :يقيم أساس مذهبه في الصور علي المعرفة والوجود . كما فعل أفلاطون تماماً .]

خامساً-يفرد[أرسطو) في فلسفته مكاناً لفكرة تتنافي تماماً مع منهجه الفلسفي ويكاد ينكر فيها قانون(العلّية) . وهي فكره(الاتفاق) أو(الصدفة) ..

يعوّل أرسطو كثيراً على فكرة (الصدفة) باعتبارها شيئاً واقعياً ملموساً .وأنها(قانون) اللاقانون عنده ..

يؤكد أرسطو:أنه في «أحيان» يكون من شأن وجود الهيولى حدوث أشياء (عرضية) غير مقصودة من: العلة الغائية ومن العلة الفاعلية . فتكون: أحداثاً عرضية . أو بالاتفاق .

وأرسطو يستخدم فكرة (الاتفاق) لتفسير كثير من الظواهر الشاذة أوالناقصة في الأشياء .

وقد كرّس أرسطو لفكرة(الاتفاق) مساحة واسعة من عرض فكرته الجديدة والتي يشير إلى أن أحداً لم يسبقه لعرضها ..

ونعجب من رفضه للقاعدة التي تقول: إن الطبيعة كلها تسودها(العلّية) .

فلامجال للتحدث عن الاتفاق إذن .

ويرد أرسطو على هذه القاعدة العقلية العلمية على: أساس فكرة(الندرة) فالنادر والشاذ ولاسبيل إلي: الشك في وجوده . كما يقول أرسطو- هو: الصادر عن الاتفاق. وأن الاتفاق والندرة أوالشذوذ شئ واحد ..

وندهش عندما نجد أرسطو يتحدث عن (البخت) أو الحظ. ولايقصد به: الحظ بمعنى(النصيب) المأخوذ بحق(ما) ..[1]

ولكنه يقصد به الدعوى الذي تقدم على مفهوم (خفيّ) أسطوري لايمكن أن نجد له تعليلاً منطقياً ..

وهذا الاتجاه في (فكر) أرسطو. يصادم قانون (العلية) وهو من أرسطو بالذات (مثير) للدهشة ..

ومما لاشك فيه : أن البديل لمصادمة (العلية) هو: الاعتقاد في : الأسطورة والخرافة ..[2]

لأننا نحن المسلمين عندما نعتقد(توقف) العلة في نطاق (المعجزة) .. فإن المقصود [توقف العلة المعهودة ..وحلول(علة) .. أخرى هي : قدرة الله تعالى : فهي (علة) الفعل الخارق فالمعجزة عند المسلمين .. لاتعني على الإطلاق: بالعله معلولاً بلاعلة وإن تعنى توقف العلة (الجزئية) أمام(علة) كلية أكبر وأقوي هي(القدرة الإلهية) ..

ومن هنا : فإننا نحن المسلمين لانعرف . إنكاراً للعلة بالأطلاق تحت أي مقولة أو (عنوان) ..[3]

---

(١) قال الله تعالى(للذكر مثل حظ الأنثيين) .

(٢)وقد لمحنا ذلك عند(ديفيد هيوم) عندما أحل المصادقة مكان(العلة) فانزلق للتناقض. راجع ص٦٥ من ك (ديفيدهيوم) د/زكي نجيب محمود .

(٣) وحتي عندما خفف الغزالى من (حتمية) (العلة) فإنه كان يحاول أن يحرر العقل من قهر(السببية)التي قد تبعده عن الإيمان بالسبب البعيد وهو(قدرة الله تعالى)

الاتفاق والبخت عند أرسطو:

عندما يتحدث(أرسطو) عن (الاتفاق) يأخذ في تقسيمه إلى قسمين:

أ- الاتفاق. ويكون بالنسبة إلى الأشياء غير الإنسانية .

ب - البخت. ويكون خاصاً بالأفعال الإنسانية .

وإذا كان أرسطو قام بعمل هذا التقسيم ..فإنه أحياناً يخرج عليه: فيسوّي بين: الاتفاق والبخت باعتبارهما شيئا واحداً.

ولكن أرسطو على مايبدو : يعطى (البخت) أهمية عظمى .فإنه عندما يريد أن يعرف (الاتفاق) . يطلع علينا بتعريف (البخت) فيقول في تعريفه:[إنه الحدوث بالعرض لوقائع قابلة لأن تكون غايات . لوكانت هذه الغايات صادرة عن الفكر والاختيار]

ويعتبر أرسطو مايسمى(بالعَرَض) في نسيج فلسفته . وهو فكرة (هلامية) أشبه بها بالأسطورة في مقام(التعقل) ..

ويضرب «مثالاً» ليشرح فكرته الأسطورية الغامضة . وليوضح فيه الفرق بين(العلة والعَرَض) فيقول:

[لو تواعد (الدائن)و(المدين) على أن يلتقيا في السوق لكان التقاؤهما هناك بالعلة لا بالعرض ..

أما في حالة التقاؤهما - دون مواعدة - فإن هذا الالتقاء يكون بالعرض لا بالعلة .

لأن: الذاهب الى السوق والمدين . إلتقيا معاً بدون أن يرتبا هذا الالتقاء.

وحيث: لاترتيب. فلافكر- ولااختيار.

وإذن : فالأحداث التي تحدث بالاتفاق هي تلك التي تأتي بالعرض .][1]

ونجد من يعقب على فكرة (التناقض) الواردة على (أرسطو) عند مناقشة

---

(١) راجع ص١٣٧ من ك (أرسطو).

الجوهر المركب من(الهيولى والصورة) . وأن مشكله (الفردانية) تؤكد التناقض في المناقشة .. فيقول:[الواقع أن هذا الشئ الذي سماه أرسطو بالقوة والفعل . هو: مصادرة لاأساس لها على الاطلاق . وهو أشد من الأساطير الأفلاطونية إيغالاً في اللامعقولية .

وإن كان أرسطو قد قصد عن طريق هذه الناحية الأسطورية التي أقحهما في فلسفته . ونعنى بها (القوة والفعل) أن يحل مشكله (الحمل) . أي : إمكان وجود عدة صفات في شئ واحد ثم مشكله (التغيّر) . أي :الانتقال من حال وجود إلى حالة لاوجود بالنسبة إلى شئ موجود..] [1]

أرسطو يقتبس الأساطير من (الإلياذة) :

عندما برهن أرسطو على: أن(الله) فعل محض. وهو(تعقل)وهذا التعقل هو(حياته). وأن التعقل الصرف خال من الامتداد فالله : بلا امتداد .

عقب الدكتور عبد الرحمن بدوي على ذلك موضحاً عقيدة (أرسطو) في (الإلّه) فيقول:[وهكذا وضع أرسطو لأول مرة في تاريخ الفكر برهنة عقلية مستخرجة من منطق مذهب فلسفي على: الألوهية

ويجب أن لاتفهم (الألوهية) هنا بمعنى(الواحدية) [2] فإن (أرسطو) في الواقع قد(تأرجح) بين الواحدية وبين الشرك.. نظراً لتأثره في هذا الطور- بالدين الشعبي- الأسطوري - ..وانتهى به آخر الأمر في (الطورالثالث)إلى:الشرك..] .

وبصراحة ينسبه (المعقب) إلى أساطير الإلياذة .وأنه يقتبس منها الأساطير . فيقول : (والموضع الذي يتحدث فيه بكل صراحة عن الله باعتباره واحداً هو نهاية «مقالة اللام» حين قال: « إن حكم الكثيرين ليس بصالح . فليكن ثمة زعيم واحد ..] ويردف قائلاً :[وهو قول اقتبسه أرسطو من الإلياذة] [3]

---

(١) راجع التفصيل ص١٤٢ ومابعدها من ك(أرسطو)

(٢) سبق أن وضحنا ذلك بالتفصيل ..

(٣) راجع ص١٧٤ من ك (أرسطو) .

ولاشك أن أرسطو بذلك يضاهي (هوميروس) عندما جعل (زيوس) زعيماً للآلّهة أو(كبير الآلّهة) ..

وهنا(أرسطو) لم يطلب(إلّها) واحداً. بدلاً من: الكثيرين الذي فسد حكمهم.. وهنا تكون (الواحدية) صادقة ومنطقية .

ولكن(آرسطو) طالب برئيس على هؤلاء الكثيرين يوحد كلمتهم وأسماه (زعيماً) . وأسماه غيره(رب الأرباب) ..

وهذا كله خوض أسطوري في الجانب الإلّهي من(أرسطو) وقد وصفه به غيرنا من الباحثين الذين يكنون الإعجاب الشديد للإغريق وفلاسفتهم..

وبعد : هل مازلنا . بحاجة الى المزيد من (النصوص) التي تدل على تأثر(أرسطو) بالأسطورة الاغريقية. ؟..

المنهج الأسطوري عند أرسطو:

إذا أردنا ان نقف على (منهجية الأسطورة) في الفكر الارسطي فإنه يمكننا أن نحدده في العبارات الآتية:

١ - الأسطورة عند أرسطو ركيزة من ركائز الشعر .

٢ - الأسطورة الارسطية لها قواعدها المنهجية .

٣- الأسطورة عند أرسطو . تؤدى وظائف فكرية هامة . منها :

أ- طريق إلى شرح الفكر بالرمز .

ب - يلجأ إليها النقاد والفلاسفة لشرح مناهجهم .

ج - الأسطورة عنصر من عناصر(الفن) ..

د- لابدّ أن تساق الأسطورة في ثوب (غير أسطوري)..حتى تؤدى كامل الوظيفة

و - الأسطورة يجب ان تستتر عن أسطوريتها لتتلقي على أنها (صدق الحقيقة) ..

ز - الأسطورة تدخل للروح والوجدان عند أرسطو تداخل المنطق والعقل..

ح - جميع الفلسفات الروحية نجدها مشربة بالأساطير عند أرسطو. دون أن يعترف بذلك .

هذه أمور تبدت لي من(عرض) الأسطورة في الفلسفة الأرسطية وقد سرت هذه(الملاحظات) واضحة في طيات هذا العرض.

وكل هذا يؤكد لنا: أن أرسطو سقط في(بحر) الأسطورة. رغم براعته العقلية والفلسفية .إلا أنه حقيقة كان يرتدي الكثير من (الأردية) التي تستر أساطيره.. فستر الأسطورة عند أرسطو : منهج فلسفي ..

الفصل الخامس

«محاولة تفسير وجود الأسطورة»

نود أن نشير هنا الى بعض الآراء التي شعرت بنوع من « الخجل» إثر وجود الأسطورة في الفلسفة الاغريقية التي (تفاخر) بها الدنيا..

فحاولتْ بشتي الطرق (تلمس) أمور تصورتها (مبرراً) لقبول الاغريق للأساطير..

وكان منشط التبرير هذا هو: محاولة للدفاع عن العقل الإغريقي يصدر من العقول التي تعجب به ..

ونحن هنا نقرر بوضوح: أن مذهبنا في سيطرة(الأسطورة) والخرافة.على عقل(ما)..سواء أكان هذا العقل عقل(أمة) أو عقل(شخص).أن (الأسطورة) لاتستطيع أن تسيطر إلا إذا(تباعدت) الأمه وبُعْد الشخص عن(وحي الله) تعالى

فعندئذ: ينقطع السبيل بالانسان..فلايسعفه عقله. ولاتنجده روحه. فتتخطفه الأساطير . أوتهوى به الخرافات في مكان سحيق ..

وعليه : فإن السلامة من الأساطير تكمن في التمسك بما جاء في (وحي الله تعالي) .. وأصدقه وأحفظه وأوثقه واكمله هو الوحي الذي أنزل على محمد صلي الله عليه وسلم ..

ففيه(جواب) لكل مايشغل الإنسان عن(عالم الغيب) وفيه(معارف) يقينية عن (الملأ الأعلي) ..

فهو (حبل الله) المتين. الذي إذا اعتصم به الإنسان نجى من مهاوي الأسطورة والخرافة. يقول الله تعالى(واعتصموا بحبل الله جميعاً .) .

وهذا يوضح سلفاً موقفنا من الآراء التي سنذكرها الآن. فعرضنا لها عرض انتفاء . لاعرض إنتقاء ..[1]

---

(١) يؤكد «لويس سبنس» أن[الأسطورة ليست تفسيراً تمليه الفائدة العلمية بقدر ماهي استجابة لنزعات دينية وارتباطات اجتماعية] راجع ص١٥٨ من ك كتابه (مدخل لدراسة الأسطَورة) نشر لندن سنة ١٩٣١ .

١- يطالعنا تعليل سبق الإشارة إليه. وهو: أن الأساطير والخرافات بعوالمها الغريبة وأشخاصها الفذة منفصلة تماماً عن عالمنا(الزمني) .

وإن كانت تؤثر في حياتنا العامة وسلوكنا النفسيّ

وأصحاب هذا الاتجاه يصفون الأساطير بأنّها:[قصص خيالى صرف. وتبعد عن التاريخ بمقدار مايبعد الوهم عن الحقيقة . ومن ثم فإن منطقها هو: اللاّمنطق.] (١)

٢- ولكن هذا الاتجاه . يرفضه «لويس هورتيك» بدعوى: أن الأسطورة لاتمت إلى عالمنا بصلة..

ويرتضى« هورتيك»: أن الأسطورة تعبر عن: الفترة الدينية وعلم الحيوان.. وأن بعض آلهة الوثنيين المعترف بوجودهم منها.. وتلك هى الأسطورة] (٢)

٣ - ويقرر (فريزر)في كتابه(الغصن الذهبى) أن عصر الأسطورة هو (عصر السحر) . وهو(شبيه) بعصر العلم. فإن عصر العلم يرجع إلى: عصر السحر الذي يؤمن بفكرة البحث عن (علّة) وهذا طبيعة العلم الطبيعي .

ومعنى هذا أن : الأسطورة أساسها (كونيّ). طبيعيٌ. طالما هي تتسع لحكايات الالهة والأبطال.

وإذا سلمّنا بوجود العناصر الوحشية واللاّعقلية فيها إثر صراع أبطال الأسطورة علي نحو دمويٍّ غريب شاذ .

فإننا : نجد الأسطورة تعبّر عن جذور: تاريخيه وجغرافية .

ونرى في أسطورة(فرجيل). وهي أساطير لاتينية اتخذت شكل(الملحمة) أنها: جولة بين أطلال. يعقبها تبرير لأسباب وجودها ..فإن(إينياس) البطل الطروادي يؤدى طقوس الخضوع لهرقل المنتصر .

وقد قصد(فرجيل) من هذه الأسطورة الكشف عن: روما القديمة في صورة أسطورية . فيتحدث عن(الكابيتول) وأنات(جوبتر) . وكلها آلهة أسطورية واحدة.

----

(١) راجع ص١١٧ من ك(الأساطير) . للدكتور أحمد كمال زكي .

(٢) راجع ص ٥٤ من ك(الفن والأدب) تاليف /لويس هورتيك ترجمة د/ بدر الدين قاسم الرفاعي دمشق سنه ١٩٦٥.

٤ - رغم أن(الأسطورة) نتاج جماعي.. وإفراز إنسانى(أنثروبولوجي) فإن علماء التحليل النفسي. وهو ميدان يعتمد على(الذات) قد استخدموا إشارات (الأساطير) في تفسير (رموز الأحلام)مع أن(الأسطورة) تصدر عن (الجماعة) لا(الفرد) فهي تعبير عنها لاعنه ...

ورغم أننا لنا موقف من فكرة(التحليل النفسي)[1] .فإننا هنا ننقل مايقررره عن كيفيه الاتصال بالأسطورة في مجالاتهم .؟..

يقرر أتباع نظرية (جيمس فرويد) أن الذي يستقر في (اللأوعي) يرفض الاختفاء كما تريد له (الذات) أو(الأنا) ومايعجز منه أن يظهر في الأحلام صريحاً أو غامضاً . يظل يعمل على (خنق) الأفكار والعواطف التي تمثل الغرائز في (اللاوعي) بفعل(ميكانيكية) الكبت. ! ..

وعندئذ يلجأ العقل إلى: التعبير عنها بالإسقاط . أوالاستبدال أو الانعكاس..

فإن عجز عن هذا التعبير: لجأ الى (الرمز) الذي من طبيعته أن تستخفي فيه الفكرة أوتتشكل حسب محتويات الشعور[2]

ويقول (كارل يونج) في كتابه(عقدة أوديب والأسطورة وعلم النفس) :

[إن معظم الرموز تتخذ صوراً بدائية . أو مواضيع أسطورية مستقرة في اللأوعي الجماعي.. ومتصلة بالنماذج العليا .

إن الصورة البدائية هي (النموذج الأصلي) .. فهو رواسب الكبت المبهمة . وقد نتعرف على بعض هذه الرواسب في الأحلام ..

وهكذا يلمح العلاقة بين(الرؤي) و(الأساطير) .. وتكون بطبيعه الحال: مرتبطة بأساطير لاتتناول السلالات البشرية بالصراحة المطلوبة . وإنما تجعل شخوصها : آلهة جائرة جشعة وأبطالها مردة . وأجراماً سماوية غريبة..] .

وتمضي مدرسة(التحليل النفسي)الأسطورية. في ربط منهجها بالأسطورة معتمدة على فكرتها المشهورة في تحليل الأسطورة..وتفسيرها في حياه الانسان.[3]

٥- وحاولت المدرسة (الفنية) أن تقدم تفسيراً للأسطورة يساعد الفن على :

----

(١) يراجع مقدمة كتابنا(في علم النفس).

(٢) راجع التفصيل ص١٢ ومابعدها من ك(الأسطورة والرمز) وليام بليك ترجمة/جبرا إبراهيم جبرا نشر بغداد سنة ١٩٧٣

(٣) راجع ص١٩٨ مـ. ك (عقدة أوديب في الأسطورةوعلم النفس) .

الاندماج بالأسطورة . ويشجعها على محاولتها . ماقرره علماء (الأنثربولوجيا) من أن: الفن العظيم لايخرج عن أن يكون مجرد آلة في خدمة التنظيم الديني البدائي الأسطوري. سواء في الغرب أو الشرق.[1]

وإذا رأينا التماثيل الإغريقية . أمكننا إيجاد العلاقة بين: الفن والأسطورة فأسفل تمثال الإلّهة(أثينا) الأسطورية قد كتب قولها :[أنا كل ماكان ويكون وسيكون.. وما من بشر فانٍ . رفع عني ردائي بعد.. وغداً : نكر راجعين إلى : حيث يختلط الإنسان بالآلّهة ويعرية.. وقد خلع (الاخاريس)[2] عن أثينا ثيابها فعلاً.] [3]

وهكذا كان ارتباط الفن بالدين الإغريقي وثيقا فكان تعبيراً عن إبراز الأساطير التي (تحكي) للإغريقي عبر الأجيال .

وعلى من يريد أن يتقصّى(الفن) الإغريقي: أن يستقصي (أساطير الدين) وسيجد أن (الدين) قد امتزج بالأسطورة وعبرّ عنهما(الفن) حتى انصهر ذلك كله في فكرة واحدة .. [4]

بل إن الكثير من (القصص) كان تآلفاً بين: الأساطير والعقائد والفنون . وكأنها : تربط الشعوب الغابره بحياة روحية واحدة .

ونجد من يؤكد هذا بعد عرضه فيقول:[إن الكثير من قصصهم كان متصلاً بالأساطير الإلّهية .وكان يؤدي علي شكل (حوار) يصاحبه: الغناء والموسيقى.] [5]

----

(١) راجع ص١٨٨ من ك(آفاق الفن) تأليف : ألكسندر إليوت. ترجمة :جبرا ابراهيم جبرا. نشر دار الكتاب العربي سنة ١٩٦٤ت . القاهرة .

(٢) صانع التمثال

(٣) راجع ص١٣٨ من كتاب(الأساطير) .

(٤)راجع ص٨٦ من ك (الفن والادب) تاليف/ لويس هورنيك ترجمع د/ بدر الدين قاسم الرفاعي دمشق سنه ١٩٦٥.

(٥) راجع ص١٥ ومابعدها بتصرف من ك(دراسات في أدبنا الحديث) دكتور لويس عوض نشر دار المعرفة سنة ١٩٦١ القاهرة .

٦- ونجد من يرجع أسباب نشأة الأسطورة خاصة (أساطير المآسي اليونانية) إلى: أسباب اقتصادية وسياسية ودينية..

ولكنه يؤكد أن: العوامل (الدينية) هي الأصل في هذه العوامل فيقول:[..فالعوامل الدينية تعتبر النواه الأولى التي نبتت منها المأساة الأسطورية فالدين اليوناني كان يتضمن مجموعة من العقائد - الشعبية- والتقاليد التي يؤمن بها الناس ولايحاولون معرفة أصولها .

فمثلاً: عادة (دفن الموتى) كانت منتشرة عند اليونان . لأن مصير الإنسان المحتوم هو: الموت . ولاتنتهي مراسيم الموت الا بمواراة الجثة تحت الثرى . وكانوا يعتقدون أنه إذا لم يدفن الميت تعذبت روحه . وهامت هذه الروح يتملكها الغضب. فتبعث الخوف في نفوس الأحياء ..

وقد حاكمت هذه (الأسطورة) : القواد الثمانية الذين اشتركوا في معركة (أرجينوساي) لأنهم: لم ينتشلوا جثث جنودهم الشهداء من قاع البحر ليؤدوا مراسم الدفن .

ويقول هيرودت : إن (هوميروس وهزيور) قد علّما اليونان: أنساب الآلّهة : الإغريقيه والأسماء والصفات .

إن فضل الإلياذة والأوديسا على الفكر الإغريقي لاينكره أحد فلقد صور(هوميروس) الآلّهة: تصويراً بارعاً (!) كما تخيلهم اليونان .. ولكنه - بالطبع- لم يبتدع هؤلاء الآلّهة كما يدعي هيرودوت - في تفسيره لنشأة الأسطورة الإلّهية عند الإغريق -.][1]

وكان الشعراء مغرمين بتفسير الأساطير تفسيرات متباينة . ولديهم : الميل إلى تعديل بعض تفاصيل الأسطورة وإضافة أجزاء أسطورية الى صلب الأسطورة الإغريقية الموروثة .

وقد وصلتنا أسطورة (أوريستيس) الذي قتل (أمه) . معروضة بأسلوب ثلاثة من الشعراء الإغريق ..

----

(١) راجع التفصيل ص٣١ ومابعدها من ك(المأساة اليونانية) في القرن الخامس ق. م

فعند تناولهم لهذه الأسطورة : اختلف (تفسيرهم) تبعاً للخدعة التي لجأ إليها (قاتل أمه) .

أ- فالشاعر الإغريقي (إيسخولوس) يصف جريمة (أوريستيس). بأنها بشعة . وإن كان لابد أن يقدم عليها .

ب- والشاعر الإغريقي (يوريبديس) أشار إلى أنه قام بعمل مفزع فيصور قتله لأمه . على: أنه جرم لايغتفر ماكان ينبغى أن يقدم عليه .

ج - أما(سوفوكليس) أشهر شعراء الإغريق. فيرى : أن الإبن قد قام بعمل رائع(١)..

وتنسب الأسطورة الي[(إيسخولوس) أن (الإلّه ديونوسوس) تجلّى له في طفولته . وأمره أن ينظم المأساة .

ولذلك: عظمه الإغريق واعتبروه (موهبة سماوية) وهبت لهم من تلك: القوة الخارقة التي كان يؤمن بها اليونان عامة .

وللأسف يعقب أحد الباحثين المعاصرين على أسطورة (التجلّى) فيقول:[وسواء أكانت هذه الرواية حقيقية . أم من نسيج الخيال .فمّما لاشك فيه أن اليونان قد أنزلوا (إيسخولوس) منزلة سامية .] . (١) .

ولاشك أن مصدر الأسف هو: وجود(الترديد) في مقام القطع .. إذ كان ينبغي عليه . أن يبادر بالقطع بأن هذا من نسج الخيال أي أنه (أسطورة) مختلفة وأضيفت إلى أساطير الإغريق مثل غيرها من الأساطير الأخرى .

بل: لست أدري .. لماذا لم يشعر بماشعرنا به هنا . من أن سوق هذه الأسطورة بالذات (التجليّ) تؤكد : أستعداد الإغريق للأسطورة ..لا لأنها تمثل التراث الديني الاغريقي ..فقط .

ولكن: لقدرتهم على (اختراع) أساطير شخصية باعتبار أن الأسطورة(تاج) للآلّهة يشرف البشر بكونهم(موضوعات) للأساطير .

---

(١) راجع ص٤٠٢من ك(المأساة اليونانية) .

٧- وحول تفسير نشأة الأسطورة يحدثنا الناقد الإغريقي الأيوني (كسينوفانيس) ٤٧٩:٥٧. ق.م أن الأسطورة نشأت من خيال الإنسان وضلاله ..

فالأساطير التي تتحدث عن الآلهه في(ناسوتية) وأخلاق بشرية . كما يرددها الإغريق هي دليل على فساد العقل والقلب.

فإن (الإلّه) واحد. عظيم بين (الآلهه) (!) والبشر وهو: ذو هيئة وتفكير خاص به ..

وقد قضى (كسينوفانيس)حياته(منفياً) في صقلية و(إيليا) بسبب هذه الأفكار.[١]

٨ - أما صاحب نظرية(المجاز الأسطوري) وهو: ثياجينيس THEAHENEW والتي يرى النقاد أنها من أهم النظريات التي نشأت حول تفسير نشأة الأسطورة .

فقد رأى: ضرورة معالجة الأسطورة كقصة مجازية لاكرواية أدبية .

ولذلك حاول: إثبات أن بعض الآلهة الإغريقية الواردة في الأساطير . تمثل : قيماً أخلاقية أو عقلانية ..

وذلك عن طريق: دراسة لغوية لأسماء تلك الآلهة كما وردت في الأساطير ..

ولكن (فريكوديس)[٢] PHEREKYDES هو الذي : خلط بين الأسطورة والقصة المجازية والعلم الطبيعي ..

وقد زاد عن(ثاجينيس) ، ربطه المجاز بالعلم الطبيعي. وهو خطوة جريئة في عصره .. وقد تبلورت بطريقة منهجية فيما بعد عند(أرسطو) .[٣]

٩ - ونجد من مفسري نشأة الأسطورة من يذكر[أن الأسطورة ليست إلا تاريخاً متنعاً . فالآلهة في بادئ الأمر كانت: رجالاً .

وبعد مرور الزمن.وبعد فترات التمادي في الخيال اكتسب هؤلاء الرجال : عظمة

-----

(١) راجع التفصيل ج٤١ من ك (أساطير إغريقية) .

(٢) القرن السادس قبل الميلاد .

(٣) راجع ص ٤٢ من ك(أساطير اغريقية) .

وجلالاً وتغير ت أشكالهم حتى تحولوا إلى أرواح مقدسة أسطورية .].[1]

وصاحب هذا الرأي هو(يوهيميروس) .EUHEMEROS .[2]

وقد صارت هذه النظرية ذات شهرة بفضل الكاتب الروماني(إينوس) . ENNIUS (٢٣٩:١٦٩ق .م) الذي روّج لهذه النظرية .

وقد راجت فكرة: أن الأساطير نشأت خضوعاً لنظرية (الذرائع) . [3]

وقد ظهر ذلك بجلاء عند (الفلاسفة الرواقيين والأفلوطينيين) وقد عبرّ عن هذا (بلوتارخوس) (٤٦-١٢٠م)عندما جهد أن يجعل(الأساطير) تبدو في صورة أكثر وضوحاً وجلاء. وذلك عن طريق تفسيرها تفسيراً(ذرائعياً) .

ورأى(بلوتارخوس):أن آلهة الأساطير الإغريقية كانت: ملوكاً أو رجالاً عاديين.

وقد حاول بعض الفلاسفة تفسير الأسطورة تفسيراً «نفسياً» فهي عندهم تمثل مرور النفس البشرية في المراحل الأسطورية .

وتعتقد المدرسة الرواقية بصفة عامة:أن الأساطير إشارات إلي (الظواهر الطبيعية) .

ويرى أصحاب الاتجاه الذرائعي: أن (الألّهة أثينا) تمثل الشخصية المعظمة لملكة من ملكات البشر .

بينما يذهب أصحاب الاتجاه (النفسي) إلى أن نفس هذه (الإلّهة أثينا) تمثل(الفهم).

أما أصحاب التفسير الطبيعي . فيذهبون إلى: أن(الإلهه أثينا) تمثل: الطبقة الهوائية السميكة الواقعة بين الأرض القمر .

----

(١) راجع ص٤٣ من المرجع السابق .

(٢) القرن الرابع قبل الميلاد.

(٣) مذهب(الذرائع)PRAJMATISM وهو مذهب فلسفي امريكي يتخذ النتائج العملية (مقياساً) لتحديد قيمة الفكرة الفلسفية وصدقها..

ويعتبر هذا المصطلح المعاصر أقرب مصطلح يعبّر عن منهج (بلوتارخوس) في تفسير الأساطير. راجع هامش ص٤٤ من ك(أساطير إغريقية)

١٠- وعندما انتشرت (المسيحية) في العصر الروماني وشملت العالم الإغريقي والروماني..روّج آباء الكنيسة المسيحية الأوائل وعلى رأسهم (أغسطين) ٣٥٤:.٤٣م . لفكرة تدعو إلى: ضرورة تفسير الأساطير تفسيراً(مجازياً). وأن للأسطورة وظيفة دينية في نفوس المسيحيين .ولذلك ينبغي تخليص الأسطورة من: الصفات (الكريهة) حتى تروق الأسطورة لدى المتدين .

ووجد من الكنيسة من يرى: أن الأسطورة تحتوى على معنى (أخلاقي) . وأيده من قال : [إن الأسطورة تحتوى على قدر ضئيل من صدق عقائدي.] [1]

١١- أما في (العصور الوسطى الأوربية) . فإننا نجد من يفسر(الأسطورة) بشكل يتناسب مع ظلام هذه العصور. فإننا لانجد آراء محدودة أو نظريات .

ولكننا نجد : أن الاعتقاد السائد وقتئذ في العصور الوسطى الأوربية هو: [أن الآلهَة أو الربّات الإغريقية تنتمي إلى أصل شيطاني .. أو أنها على الأقل ليست سوى مجموعة من الأوثان. ألقى بها في الجحيم فور ظهور المسيحية].

١٢- وفي (عصر النهضة) وجدنا محاولات لتفسير نشأة الأسطورة..

أ- فقد حاول (فرنسيس بيكون)FRANCIS BACON .(١٥٦١:١٦٢٦م). أن يفسر الأسطورة تفسيراً مجازياً فمثلا : ديونوسوس. هو: المعاناة ..وهكذا .

ب. ونجد(نتاليس كوم).NATALIS COMES (ت ١٥٨٢م). يرى: أن الأساطير مليئة بالجوانب المجازية لفلسفة طبيعة أخلاقية ..

ج- أما(دي بروس).DE BROSSES (١٧.٩-١٧٧٧م) فقد فسر الأسطورة بأنها(بقايا) عادات قديمة بدائية والتي تمارسها الشعوب البدائية وحتى الآن .

ولاشك أن هذه (مغالطة) : فإن الحق يوجب أن يقول : إن مالدي الشعوب البدائية الآن هي:أساطير قديمة موروثة .

د- ويؤكد(لافيتو)LAFITAU .(١٧٢٤م) فيرى :أن عنصر(الشراسة) الموجود في الأساطير الإغريقية.قد وجده في الهند عندما كان عضواً في(البعثة اليسوعية) التبشيرية .

----

(١) راجع ص٤٤ من ك(أساطير اغريقية)

وقد مهد الطريق للقديس(بانيه) . و(بريانت) الذي قال: [إن الأساطير إنما استمدت أصولها من الكتاب المقدس(!) أو القصص المتعلقة به..]

هـ - أما (توماس تايلور) فيرى أن الأساطير نشأت نشأة (مجازية) .

و- أما الألماني(كروزر) .فيرى أن الأسطورة نوع من أنواع التعاليم الدينية . وأن الأسطورة نشأت في ظل (وحي) ديني أصيل .

وإننا نحتاج إلى(موهوب) في تحليل(الأساطير) لابراز الجوانب الدينية في هذه الأساطير.. وبدونه سنظل عاجزين عن إدراك الجوانب (الخفية) للحكمة التي تسجل (حكمة الأجيال السحيقة).

ز- ويرى (موللر) K.O.MUILER. .أن هناك(فوضى) بين العلماء في تفسير (نشأة الأساطير) .

وأنه يجب أن نفرق بين:

١- الأسطورة الحقيقية .!..

٢ - الأسطورة التي حرفها الشعراء والفلاسفة

وإن(المادة) الأسطورية يجب (تحليلها) الى عناصرها (الأسطورية) الأصلية..!.

ويصف أحد الباحثين (موللر)بأنه[أول من توصل الى منهج علمي في دراسة الأساطير.] [(١)]

ح- ونجد(رائد) مدرسة التفسير الأنثروبولوجي لنشأة الأسطورة (تايلور) . A.B.TAILOUR .يذهب مع مدرسته إلى: أن وجود عنصر الشراسة والتفاهة في الأسطورة يعني: أن هذه الأسطورة قد نشأت بين شعب بدائي شرس تافه .

وعندما نجد(الشراسة) في أسطورة لشعب متحضر كالإغريق فإن ذلك يعني : أن هذا الشعب المتحضر الذي تسري فيه هذه الأسطورة . كان يوماً(ما) شعباً: شرساً تافها انتشر فيه معتقد شرس تافه .

----

(١) راجع ص٤٧ من ك(أساطير إغريقية) .

وقد عولت هذه (المدرسة) على: تاريخ الإنسان وأصله وعاداته الاجتماعية . ومعتقداته الدينية .

ويؤيد هذه المدرسة الفيلسوف (هربرت سبنسر) الانجليزي HERBERT SPENCER .(١٨٢٠:١٩٣م). ويقول: إن أساطير الطبيعة هي نوع من عبادة الأسلاف نشأت نتيجة لما نسميه(سوء الفهم) ..وأن أساطير (الحيوان) تعبر عن (التوتم) وسوء فهمه ..

وإذا كنا قد ألقينا بعض الضوء على (فهرست) الذين حاولوا تفسير نشأة الأسطورة .. فإننا لانستطيع أن نساير هذا الخط الذي نعلم أنه خارج عن منهجنا .

ويكفي أن نشير بعد ذلك : أنه قد ظهر عدد غفير من الدارسين الذين اهتموا بهذه الدراسات التي ألقت المزيد من الضوء على(علم الأساطير).

ورغم التعسف في جعل هذه (التفسيرات) للأساطير (علماً) .. فإن هذا (العلم) المختلق لم يسعفهم في تقديم (تفسير) للأسطورة . يدفعون به(العار) الذي يشعرون به من تغلغل الأسطورة في فلسفة وتفكير وعقيده الأسلاف. الإغريق .

ويظهر لنا من كل(محاولات تفسير نشأة الأسطورة) أننا لم نجد هذا (الكم) الهائل من الدارسين يقف من الأسطورة . موقف (المبطل) الذي يعترف بخطرها على الانسان والعقائد... وأنه يجب أن تقطع هذه الأساطير من(حياة الشعوب) وتدفن في قاع المحيط السحيق. بحيث لاتدرس أو تروج ولايشار إليها إلا للمقارنة .. مثلما : فعل العرب والمسلمون باللأت والعزى وغيرهما من أصنام الوثنية .. عندما أضاء الاسلام عقيدتهم وحياتهم ..

ونعتقد بعد ذلك: أنه يجدر بنا أن نجمل في(تجريد) أهم مناهج تفسير نشأة الأسطورة . في الآتي :

الأول: منهج يدعي:أن الأسطورة تصف حقائق تاريخية بطولية .

الثاني: منهج يدعو إلى: اعتبار الأسطورة (حقائق)فلسفية دائمة .

الثالث: منهج يحبذ تناول الأسطورة. كتعبير عن(انعكاس) لعملية طبيعية . تحدث مرة بعد أخري وإلى الأبد..

وهذه المبادى المنهجية تؤدى الى(مناهج) تطبيقية لدراسة الأسطورة عند: مفسري نشأة الأسطورة.

المناهج التطبيقية

١ - المنهج المجازي: يري الأسطورة قد أخفى فيها حقائق ضن بها الأقدمون على عصرهم ..

٢ - المنهج الرمزي: الذي يرى أن الأسطورة (ترمز) إلى: فلسفة كاملة . وجدت في عصور سحيقة .

٣- المنهج العقلى: يؤكد أن الأسطورة نشأت بسبب : سوء الفهم أو(خطأ) الأجيال في الرواية .

٤- المنهج التحولي: وهو عند الذين يرون الأسطورة قصة فرد بشري . قام بعمل مجيد بطولي . استحق ان يكون به(إلّه) من آلهه الأساطير .

وبذلك(يتحول) البشر الي(آلهة)أسطورية

٥- المنهج الطبيعي: ويرى أن الأسطورة نشأت لتتناول مظهراً في (الطبيعة) . وتعبرّ عن(الظاهرة) بشخصية مقدسة وتطورها الى(إلّة) أو(آلهة) ..

٦- منهج التحليل النفسي. ويذكر أن سبب الأسطورة بواعث كبت غريزي منذ آماد طويلة ..

وهذه (المناهج التطبيقية) مع(المبادئ المجردة) . كلها عجزت عن أن تجعل من الأسطورة و(الخرافة) شيئا يمكن أن يتقبله لعقل.. وهي كلها توصل - علمياً- إلى طريق الأسطورة المسدود.[1]

ولعلّ هذا الاضطراب في المناهج التي تفسر نشأة الأسطورة إنما يرجع إلى: محاولة الدفاع عن(الاغريق) الذين اعتقدوا الأسطورة . وسرت في تفكيرهم وفلسفتهم وعقيدتهم .

---

(١) راجع ص ٦٢ من ك(أساطير اغريقية) .

وهذا(الدفاع) إنما نشأ بسبب تصور(تميّز) شعب الإغريق عن غيره من الشعوب الأخرى .

ومن هنا: يفزع(حفده) الإغريق .. ومن يشايعهم ثقافيا من القول: بأن العقل الإغريقي مثله مثل أي(عقل) بشريّ يتعرض للأسطورة .. عندما يتباعد عن(الوحي الإلّهي) الذي يرسله الله ليدل (العقل الانساني) علي: الجانب الإلّهي بطريق: الرسل والانبياء صلوات الله وسلامه عليهم .

والحقيقة:أن كل هذه (المناهج) قد باءت بالفشل في التأدي إلى أهدافها ..

كما فشلت كل(دعوي) تحاول أن تجعل من(العقل الإغريقي) شيئاً متفوقاً لذاته .

ويمكن أن نقول: باطمئنان :إن(الأسطورة) سرت في الحياة الاغريقية بصورة متصلة منذ بكور الفكر الاغريقي مروراً بشوامخ الفكر الفلسفي الإغريقي وحتى العصور المتأثرة بالفلسفة الاغريقية ..

ويمكن بعد ذلك أن نشير إلى بعض الأمور التي يلجأ اليها(مفسرو الأسطورة) وهي :

١- معرفة مصدر الأسطورة . ومحاولة تحديد تاريخها .

٢ - تحديد(مكان) نشأة الأسطورة للوقوف علي زمانها .

٣ - تحديد(نوع) الأسطورة. .

٤- مقارنة الأسطورة بغيرها من الأساطير التي وجدت عند الشعوب الأخرى لمعرفة مدى (الاتصال) بينها وبين غيرها من الأساطير .

وختاماً

وبعد: فإنني أرجو أن اكون قد استطعت خلال هذه الدراسة الموضوعية عن وجود(الأسطورة في الفلسفة الإغريقية) ..أن أكون قد وفيّت بمقصودي في إطار منهجي..

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يجعله مفيداً

لكل (منصف) للعقلية الاسلامية ..ومهدهداً لكل (متعصب)للعقلية الإغريقية ..

كما ابتهل الى الله تعالى: أن يجعل الحق رائدنا في تناول الأمور. والإنصاف منهجنا في تقرير الأحكام..

وعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده إنه سميع مجيب ..

[ربنا عليك توكلنا. وإليك انبنا وإليك المصير.].

هذا .. وبالله التوفيق...

دكتور مصطفى غلوش.
كلية اصول الدين
القاهرة.

ثبت

بأهم المراجع الواردة فى البحث

مسلسل	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	القرآن الكريم	
٢	السنة النبوية المطهرة	
٣	المعاجم اللغوية	
٤	أرسطو	دكتور عبد الرحمن بدوى .
٥	الأساطير	دكتور أحمد كمال ذكى .
٦	اساطير إغريقية (البشر)	دكتور عبد المعطى شعراوى .
٧	آفاق الفن	الكسندر اليوت / ترجمة جبرا إبراهيم جبرا .
٨	أفلاطون	دكتور عبد الرحمن بدوى .
٩	البطل في الأدب والأساطير	دكتور شكرى عياد .
١٠	تاريخ الفلسفة في العصر الوسيط ..	دكتور يوسف كرم .
١١	التراث اليونانى في الحضارة الإسلامية	دكتور عبد الرحمن بدوى .
١٢	تفسير القرطبى	نشر دار الريان للتراث .
١٣	تلخيص كتاب الشعر لابن رشد	تحقيق (د / تشاولس مبرورات و د/ أحمد عبد المجيد هريدى)
١٤	الجانب الالٓهى فى التفكير الفلسفى .	دكتور محمد البهى .
١٥	جمهورية أفلاطون	ترجمة دكتور فؤاد زكريا .
١٦	الحكاية الخرافية	فريدريك فون لين / ترجمة د/ نبيلة إبراهيم .
١٧	الخيال مفهوماته ووظائفة	دكتور عاطف جودة نصر .
١٨	دراسات فى أدبنا الحديث	دكتور لويس عوض .
١٩	دراسات فى الفلسفة	دكتور صلاح عبد العيم .
٢٠	ديفيد هيوم	دكتور ذكى نجيب محمود .
٢١	ربيع الفكر اليوانى	دكتور عبد الرحمن بدوى .

مسلسل	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٢٢	العلم والاغتراب والحرية	دكتور يمنى طريف الخولى .
٢٣	عقدة أوديب والأسطورة وعلم النفس	كارل يونج .
٢٤	عقيدة التناسخ وموقف الإسلام منها .	دكتور مصطفى غلوش .
٢٥	فلاسفة الاغريق	ريكس وورنر/ ترجمة عبد الحميد سليم .
٢٦	الفن والأدب	لويس هورتيك - ترجمة د/ بدر الدين قاسم الرفاعى .
٢٧	فى الفلسفة الإسلامية وصلاتها بالفلسفة اليونانية	دكتور عوض الله حجازى .
٢٨	قصة الفلسفة اليونانية	دكتور أحمد أمين و دكتور ذكى نجيب محمود .
٢٩	المأساة اليونانية في القرن الخامس قبل الميلاد	دكتور محمد صقر خفاجة ودكتور عبد المعطى شعراوى .
٣٠	مقدونية	دكتور جمال الدين سيد أحمد .
٣١	الملل والنحل	للشهر ستانى .
٣٢	من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية	دكتور محمد عبد الرحمن مرحبا .
٣٣	المنقذ من الضلال للغزالى	تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود
٣٤	نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام	دكتور محمد سامى النشار
٣٥	هوميروس : شاعر الخلود	دكتور محمد صقر خفاجه .
٣٦	هيرودوت فى مصر	دكتور وهيب كامل .

ثبت بأهم الموضوعات الواردة فى الكتاب

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

رقم الايداع بدار الكتب
١٩٩٠ / ٥٧٤٤
الترقيم الدولى
I.S.B.N
977 - 5101 - 03 - 4